حكايات الحيوان فى شعر شوقى

د.أحمد محمد عوين
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية التربية بالعريش
جامعة قناة السويس

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية



حكـــايات الحيـــوان فى شعر شـــوقى

الناشـــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
العنـــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد - مساكن درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.
تليفـــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣
الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com

Websitc

http:/ www. dwdpress.com

عنوان الكتاب : حكايات الحيوان فى شعر شوقى
المؤلـــــف: د. أحمد عوين
رقــم الإيـداع: ١٠٣٩٨ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى: 4 - 471 - 327 - 977

مقدمة



يعـد " أحمـد شـوقى " مـن أهـم شـعراء العربـية الذيـن احـتل الحـيوان والطـير فـى شـعرهم مسـاحات واسـعة ، يسـتلهمه ويأتـنس بـه ويوظفـه بـل يسـتنطقه ويحكـى بلسـانه مـا شـاء مـن حكايـات ، رامـيا مـن ورائهـا إلى أبعـد مـن مجـرد ذلـك الاسـتنطاق، وقـد بـرع " شـوقى " فـى ذلك الفـن عـلى الـرغم مـن أنـه قـد ثبـت لـدى الدارسـين أنـه قـد كـان مسبوقا إلى ذلك بعدد كبير من الشعراء والكتاب على السواء .

لكـن " شـوقى " يخـتلف عـن سـابقيه فـى أن حكاياتـه عـلى لسـان الحـيوان بـل شـعره الـذى يكـون الحـيوان محـوره الرئـيس فـيه يمـتاز بخصيصتين أساسيتين ؛

أولاهمـا : أن هـذا الشـعر وإن كـان يمكـن ضـمه إلى ديـوان الأطفـال فإنـه يصـلح للكـبار أيضـا أو عـلى أقـل الـتقديرات يخاطـب طفـلا راقـيا أو يسـعى إلى ترقيـته بمـا حـواه مـن حكـم وتجـارب ونظـرات فلسـفية قائمـة عـلى هـذا التجريـب ، ملبسـا ذلـك كلـه قالـبا لغويـا سـهلا قريـب المـنال وإطـارا فنيا بسـيطا لا تعقيد فـيه وموسـيقى غنـية عذبـة تناسـب خفة الطير والحيوان .

وثانيـتهما : شـيوع روح السـخر والـتهكم بـل روح الفكاهـة والمداعـبة الـتى تغلـف هـذه القصـص والحكايـات فـتؤثر فـى نفـس المـتلقى وتنبئ عن روح " شوقى " الشاعر الساخر .

لـذا يحـاول الباحـث دراسـة شـعر " شـوقى " الـذى يتـناول فـيه الحـيوان والطـير فـى شـكل حكايـات بألسـنتها وحـوارات تـدور بيـنها، يدرسـه دراسـة موضـوعية وفنـية تحليلـية مشـيرا إلى العلاقـة الوثـيقة بـين هـذا الجـنس مـن شـعر الأطفـال مـن جهـة والكـبار مـن جهـة أخـرى فـى

محاولته بث الحكم والمواعظ التى يبتغى نشرها ، مؤكدا شيوع روح السخرية والتهكم فى مجموع قصائده ومقطوعاته .

إن هذا الكتاب قبل أن يكون منشورا كنت قد تقدمت ببعضه بحثا مرجعيا للجنة الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين التى شرفتنى بإجازة البحث ، لذا آثرت أن ينشر لأضعه بين أيدى تلامذتى ، ورأيت - حتى تتم الإفادة - أن أزيد عليه عددا من النصوص والمناقشات التى تمنح الدراسة طابعا تعليميا ميسرا :

فأقمته على عدد من المباحث ؛ بدأتها بنبذة ترسم حياة " شوقى " وتحدد خطوط شعره الأساسية ... وختمتها بمجموعة من نصوص قصائده التى أشرت إليها فى الحاشية أو اجتزأت منها أبياتا فى ثنايا الكتاب فآثرت أن تأتى بنصها الكامل فى الملحق المذكور لتعم الفائدة .

والله المستعان

د . أحمد محمد عوين

العريش

يناير ٢٠٠٥م

- ١ -

أحمد شوقي حياته وشعره

١٢٨٥ - ١٣٥١ هـ / ١٨٦٨ - ١٩٣٢ م

أحمد بن علي بن أحمد شوقي. أشهر شعراء العصر الأخير[1] ، يلقب بأمير الشعراء ، وشاعر الإسلام ، وشاعر الشرق والغرب ، كان مولده ووفاته بالقاهرة ، كتب عن نفسه : (سمعت أبي يردّ أصلنا إلى الأكراد فالعرب) ؛ كان جده من الأكراد جاء إلى مصر - شابا - بتوصية أحد الولاة الأتراك إلى " محمد على الكبير " الذى ألحقه بقصره . وقد بدد والده " على شوقى " ثروته فكفلته جدته لأمه التى أدخلته مدرسة " الشيخ صالح " الابتدائية وهو فى الخامسة من عمره .

وقد نشأ " شوقى " في ظل البيت المالك بمصر، وتتلمذ على يد الشيخ " محمد البسيونى " شاعر الخديوى ، وكان قد أخذ ينبوع الشعر يتفجر على لسان " شوقى " فأعجب به أستاذه ، وكان هو الآخر يجيد نظم الشعر إلا أنه لم يكن يفهم منه إلا مديح الخديوى توفيق فى المواسم والأعياد فدفع تلميذه فى هذا الاتجاه ، وتعلم في بعض المدارس الحكومية ، وفى عام ١٨٨٣م التحق بمدرسة الحقوق - بالرغم من معارضة ناظرها لصغر سنه - وذلك بوساطة القصر الذى كانت تعمل فيه جدته وصيفة .

قضى " شوقى " بمدرسة الحقوق عامين ، ثم التحق بقسم الترجمة وتخرج فيه سنة ١٨٨٧م ، ثم أرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا ، فتابع دراسة الحقوق في " مونبليه " لعامين ثم عامين آخرين فى باريس وزار خلال هذه الفترة كثيرا من الأقاليم الفرنسية و" إنجلترا " و" الجزائر" ، واطلع على الأدب الفرنسي ، وأقبل على قراءة " فيكتور هيجو " و" دى موسيه " و" لافونتين " و"لامرتين" وترجم للأخير قصيدة البحيرة شعرا .

وعاد إلى مصر سنة ١٨٩١م فعين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي " عباس حلمي " ، ثم ندب سنة ١٨٩٦م لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بـ " جينيف " ، لكن الأمر لم يدم لـ " شوقى " بوصفه واحدا من رجالات الدولة ، ففى عام ١٩١٥م نفى من مصر بوصفه محسوبا على الخديوى " عباس حلمى الثانى " ، لكنه لم يسكت بل نظم قصيدة تحدث فيها عن الحماية التى أعلنتها إنجلترا على مصر وقال فيها " إن الرواية لم تتم فصولا " فنفاه الإنجليز واختار " إسبانيا " لإقامته حتى أذن له الملك " فؤاد " فى العودة فى نهاية سنة ١٩١٩م التى قامت فيها ثورة الشعب فسجل أحداثها ، وتأجج الوطنية فى قصائد عصماء .

ويبدو هذا المنحى بجلاء حتى فى رثائه " سعد زغلول" زعيم تلك الثورة حيث يقول :

وَلَدَ الثَورَةَ سَعدُ حُرَّةً ... بِحَيائي ماجِدٍ حُرٍّ نَماها
ما تَمَنّى غَيرُها نَسلاً وَمَن ... يَلِدِ الزَهراءَ يَزهَد في سِواها
سالَتِ الغابَةُ مِن أَشبالِها ... بَـ[illegible] عَينَيهِ وَماجَت بِلَباها
بارَكَ اللَهُ لَها في فَرعِها ... وَقَضى الخَيرَ لِمِصرٍ في جَناها
أَوَلَم يَكتُب لَها دُستورَها ... بِالدَمِ الحُرِّ وَيَرفَعُ مُنتَداها
قَد كَتَبناها فَكانَت صورَةً ... صَدرُها حَقٌّ وَحَقٌّ مُنتَهاها
رَقَدَ الثائِرُ إِلّا ثَورَةً ... في سَبيلِ الحَقِّ لَم تَخمُد جُذاها
قَد تَوَلّاها صَبِيّاً فَكَوَت ... راحَتَيهِ وَفَتِيّاً فَرَعاها
جالَ فيها قَلَماً مُستَنهِضاً ... وَلِساناً كُلَّما أَعيَت حَداها
وَرَمى بِالنَفسِ في بُركانِها ... فَتَلَقّى أَوَّلَ الناسِ لَظاها
أَعَلِمتُم بَعدَ موسى مِن يَدٍ ... قَذَفَت في وَجهِ فِرعَونَ عَصاها
وَطِئَت نادِبَةً صارِخَةً ... شاهَ وَجهُ الرِقِّ يا قَومُ وَشاها
ظَفِرَت بِالكِبرِ مِن مُستَكبِرٍ ... ظافِرِ الأَيّامِ مَنصورٍ لِواها

القنا الصُمُّ نشاوى حَولَهُ　　　وَسُيوفُ الهندِ لَم تَصحُ ظُباها

وتعد فترة منفى " شوقى " من أخصب مراحل شعره وأرقها وألصقها بالحس والوجدان والعواطف المشبوبة تجاه وطنه وقلبه مصر ، ومن عيون قصائده فى هذه الفترة قصيدته " الرحلة إلى الأندلس " التى نسجها منطلقا من " برشلونه " إليها معارضا سينية " البحترى " فى إيوان كسرى التى مطلعها :

صُنت نفسى عما يدنّس نفسى　　　وترفّعْت عن ندى كلّ جِبس

يقول " شوقى " فى معارضته :

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي　　　اُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي
وَصِفا لي مُلاوَةً مِن شَبابٍ　　　صُوِّرَت مِن تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ
عَصَفَت كَالصِبا اللَعوبِ وَمَرَّت　　　سِنَةً حُلوَةً وَلَذَّةُ خَلسِ
وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها　　　أَو أَسا جُرحَهُ الزَمانُ المُؤَسّي
كُلَّما مَرَّتِ اللَيالي عَلَيهِ　　　رَقَّ وَالعَهدُ في اللَيالي تُقَسّي
مُستَطارٌ إِذا البَواخِرُ رَنَّت　　　أَوَّلَ اللَيلِ أَو عَوَت بَعدَ جَرسِ
راهِبٌ في الضُلوعِ لِلسُفنِ فَطنُ　　　كُلَّما ثُرنَ شاعَهُنَّ بِنَقسِ
يا اِبنَةَ اليَمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ　　　ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبسِ
أَحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَو　　　حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ
كُلُّ دارٍ أَحَقُّ بِالأَهلِ إِلا　　　في خَبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجسِ
نَفسي مِرجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ　　　بِهِما في الدُموعِ سيري وَأَرسي
وَاِجعَلي وَجهَكِ الفَنارَ وَمَجرا　　　كِ يَدَ الثَغرِ بَينَ رَملٍ وَمَكسِ
وَطَني لَو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ　　　نازَعَتني إِلَيهِ في الخُلدِ نَفسي
وَهَفا بِالفُؤادِ في سَلسَبيلٍ　　　ظَمَأٌ لِلسَوادِ مِن عَينِ شَمسِ
شَهِدَ اللَهُ لَم يَغِب عَن جُفوني　　　شَخصُهُ ساعَةً وَلَم يَخلُ حِسّي

ومن عيون هذه المرحلة - أيضا - قصيدته " أندلسية " التى عارض بها نونية " ابن زيدون " ، نثبت منها فى هذا المقام مقدمتها

التى يتوحد فيها " شوقى " مع طائر الطلح الذى رآه " شوقى " نفسا تشاركه مأساته وحزنه ولوعته ، يقول فيها:

يا نائِحَ الطَّلحِ أشباهٌ عَوادينا	نَشجى لِواديكَ أم نَأسى لِوادينا
ماذا تَقُصُّ عَلَينا غَيرَ أَنَّ يَداً	قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا
رَمى بِنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا	أَخا الغَريبِ وَظِلّاً غَيرَ نادينا
كُلٌّ رَمَتهُ النَوى ريشَ الفِراقُ لَنا	سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البَينُ سِكّينا
إِذا دَعا الشَوقُ لَم نَبرَح بِمُنصَدِعٍ	مِنَ الجَناحَينِ عَيٍّ لا يُلَبّينا
فَإِن يَكُ الجِنسُ يا اِبنَ الطَلحِ فَرَّقَنا	إِنَّ المَصائِبَ يَجمَعنَ المُصابينا
لَم تَألُ ماءَكَ تَحناناً وَلا ظَمَأً	وَلا اِدِّكاراً وَلا شَجواً أَفانينا
تَجُرُّ مِن فَنَنٍ ساقاً إِلى فَنَنٍ	وَتَسحَبُ الذَيلَ تَرتادُ المُؤاسينا
أُساةُ جِسمِكَ شَتّى حينَ تَطلُبُهُم	فَمَن لِروحِكَ بِالنُطسِ المُداوينا
آها لَنا نازِحي أَيكٍ بِأَندَلُسٍ	وَإِن حَلَلنا رَفيقاً مِن رَوابينا
رَسمٌ وَقَفنا عَلى رَسمِ الوَفاءِ لَهُ	نَجيشُ بِالدَمعِ وَالإِجلالِ يَثنينا

أما وفاة شاعرنا فقد قدم هو نفسه لها بلوحة مرهفة الحس عميقة الغور لا تنبئ إلا عن شاعر فنان مرهف الأحاسيس سابر الأغوار مستشرف الغد القريب ، ملبسا ذلك كل ، ثوب الحكمة النابعة عن تجريب الحياة الزائلة . وقد نقل هذه اللوحة " سيد صديق عبد الفتاح " فى كتابه " نثريات أحمد شوقى " وحرصت على نقلها منه كما هى لتكون أمام أعين قراء هذه الصفحات ؛ يقول:

" يقول " طاهر الطناحى " : لما قال أمير الشعراء " أحمد شوقى " فى رثاء شاعر النيل " حافظ إبراهيم " :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى	يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقت وكل طول سلامة	قدر ، وكل منية بقضاء

قلنا : لقد نعى أمير الشعراء ، وأذنت شمس حياته بالمغيب ، وما نحسب أنه مقيم بيننا طويلا ، وقد لا ينتهى العام، حتى نفتقده

بـين الصـفائح (الحجـارة العـراض) والـرجام (الـرُّجْمَةُ واحـدة الـرُّجَم والـرِّجام وهـى الحجـارة) - وكـنا وقتـئذ فـى آخـر يولـية سـنة ١٩٣٣م ولم يجـف دمعـنا عـلى شـاعر النـيل ، ثـم مضـت بعـد وفاتـه ثلاثـة وثمـانون يومـا، وفـى صـبيحة الـيوم الـرابع والـثمانين - وهـو يـوم ١٤ أكـتوبر - طـوى مصـر والجزيـرة العربـية والشـرق كلـه نـبأ فزعـت فـيه دولـة الأدب بآمالهـا إلى الكـذب ، لأنـه نـبأ مفاجـئ ، ولأنهـا كانـت تتمـنى لـ " شـوقى " حـياة طويلة ، ولها من نبوغه ثروة جديدة .

وقـبل أن يمـوت بأيـام عـاد فـى المسـاء إلى داره " كـرمة بـن هانـئ"، فلما دخلها وقف بالحديقة .

وقال لسكرتيره : كم قبرا تسع هذه الدار ؟

فدهش السكرتير ، وقال له : ولماذا هذا السؤال يا باشا ؟!

فقـال : لا شـيء ، لكـنه خاطـر مـر بنفسـى ، فذكـرت المـوت ، وطالمـا خالجتـنى ذكـراه فـى هـذه الأيـام ، فهـب أنـنى مـت ، فمـاذا يكون ؟!

- عشـت يـا أمـير الشـعراء ، ولا روعـت فـيك مصـر ، ولا فجـع بـك الشـرق العربى .

- لا تخـف .. فلـيس المـوت بالمصـيبة العظمـى ، وقـد يكـون مـنجاة مـن حسـد حاسـد ، وحقـد حـاقد ، والقـبر أبقـى مـن هـذه الـدار ، وهـو لا يشـغل غـير عشـرة أمـتار ، أمـا هـى .. فقـد شـغلت خمسـة آلاف مـتر ، فلو بنيت فى مكانها قبور ، لاتسعت لخمسمائة قبر ، أليس كذلك ؟

فسُـقِط فـى يـد السـكرتير ، وعـاد " شـوقى " فاسـتأنف كلامـه ، فقـال : أى أن " كـرمة بـن هانـئ " تشـغل مـن الأرض مـا يكفـى ثلاثـة آلاف من الموتى فما أعظم طمعنا فى دار الفناء ، وقناعتنا فى دار البقاء.

ـ أراك اليوم تذكر الموت ، وقد نهيتنا عن ذكره فى مجالسك ، وتمنيت لنا منه النجاة .

ـ نعم ، ولكنى ما خفته يوما ، وما ذممته قط ولا لُذْتُ منه بالفرار ، ولا نقمت لأجله على الأقدار .

أنا من لا يرى الفرار من المو ت، ومن لا يرى من الموت بدا
إنما الموت منتهى كل حى لم يصب مالك من الملك خلدا
سنة الله فى العباد ، وأمر ناطق عن بقائه ، لن يردا

ولماذا الفرار من راحة بعد عناء ، ونعيم بعد شقاء ، فإن "الحياة كعهدك بها معصية ، عن الحظيرة مقصية ، وخلوة حلوة عواقبها نقص، ومشاربها غصص ، أفعى خداعة ، ولذة لذاعة ، شوك بغُض الوَرد ، وقذى نغْض الوِرد ، أمور شتى الأعنة ، وحوادث وقع وأجنة ، فقل لمن أطال التفكير ، وبالغ فى التنكير ، وكد باله ، ومد بلباله ، واحترق احتراق الذبالة :

خل اهتمامك ناحيه وخذ الحياة كما هى

" ولنعد إلى " كرمة بن هانئ " . أليست واسعة الجوانب ، ثم أليست تتسع لخمسمائة قبر ، فى كل قبر ستة أموات ، فتكفى إذن ثلاثة آلاف ميت ، فبئس حرص الإنسان ، وبئست نفسه المدمنة على الشهوات .

والنفس عاكفة على شهواتها تأوى إلى أحقادها وتثور
والعيش آمال تجدُّ وتنقضى والموت أصدق والحياة غرور"

" نعيش ونمضى فى عذاب كلذة ، وفى لذة كعذاب ، ونذهب من الأحلام فى كل مذهب ، ثم تنتهى هذه الأحلام إلى ذهاب . ونبنى من التراب قصورا ، ونحن لعمر الحق تراب . والفلك دائر ، ما لعصاه مستقر ، ودولابه بالعالم سائر ، وعلى جانبيه المرتقى والمنحدر . نقض

إيوان " كسرى " من أساسه ، وأتى الأهرام من أم راسه ، ودهى صرح الحمراء ، فقوّض منه أعظم البناء ، ولم تبق له الخطوب إلا عمدا قائمة، هى على عباب الأيام عائمة ".

" أين رومية وقيصرها ، وجنة الطلح ومعتدمها ، وأين نابليون وصولته ، وصقر قريش ومنيته . لقد صار القصر له قبرا ، ثم ذهب القبر وصاحبه ، وأصبح ذكرا فى الأفواه ، وخاطرا فى النفوس ، أو سطرا فى الطروس " .

ثم ماذا ، أنسيت السؤال :

- كم قبرا تسع هذه الدار ؟

- أليست " كرمة بن هانئ " تسع خمسمائة قبر ، أليست هذه القبور تتسع لثلاثة آلاف من الموتى ، ثم ألسنا مسرفين جدا . لقد شغلنا من الأرض كبيرا ، وعطلنا من منافع الناس كثيرا . فبعدا لطمع الإنسان، يطلب الجاه ويستزيد من المال ، ويستعمر من الأرض الآلاف، ويكلف نفسه المتاعب ، ويبنى حول حجرته حجرات ، وفوق طبقته طبقات ، ويرجو أن ينطح بها عنان السموات ، وما درى أن الحياة دقائق ولحظات . فما أضله وأعجب عقله . لقد شغل بنفسه عن رمسه، ونسى أنه زائل ولو طال به المدى ، وأنه واصل ولو أبطأت به المطية .

كل حى وإن تراخت منايا ه ، قضاء عن الحياة انقطاعه
والذى تحرص النفوس عليه عالم باطل قليل متاعه

" إنى لأشعر بتعب فى هذه الأيام ، وقد استهلك جسمى الضعف، وعصرتنى الشيخوخة ، فما أبقت منى غير مخ فى عظام ، وما أحسب أنى مقيم طويلا ، فيما ترى على أية الحالين يأتينى الأجل، أبعد الرقاد أياما ، أم فى غفلة من النفس ، وسنة من الحس .

وأى المصرعين أشد : موت على علم ، أم الموت الفوات

وهـل تقـع الـنفوس عـلى أمـان كمـا وقعـت عـلى الحـرم القطـاة

رسـم " أحمـد شـوقي " هـذه اللوحـة البيانـية النفسـية الـرائعة ثـم مـات بعدهـا ببضـع لـيالٍ تاركـا للـتراث الإنسـانى خلاصـة فكـره ووجدانـه فى صورة فن قولى راقى المستوى نذكر منه :

١ - " الشوقيات " وهو ديوان شعره الرئيس فى أربعة أجزاء.

٢- " على بك الكبير" ألفها وهو نزيل باريس فى أكتوبر سنة ١٨٩٣م.

٣- " عذراء الهند " سنة ١٨٩٧م.

٤- " رواية لادياس " رواية ألفها سنة ١٨٩٩م.

٥- " شيطان البنتاؤر " نشرتها المجلة المصرية سنة ١٩٠١م - ١٩٠٢م .

٦ - " ورقـة الآس " ظهـرت سـنة ١٩٠٤م ضـمن روايـات (مسـامرات الشعب) .

٧- " مصرع كليوباترا " ، أخرجت سنة ١٩٢٩م .

٨- " قمبيز " سنة ١٩٣١م .

٩- " مجنون ليلى " سنة ١٩٣١م .

١٠-" أسواق الذهب " طبع سنة ١٩٣٢م وهو من النثر الفنى .

١١- " عظماء الإسلام " طبعت سنة ١٩٣٢م وهى ملحمة شعرية .

١٢- " عنترة " سنة ١٩٣٢م .

١٣- " أميرة الأندلس " ١٩٣٢م .

١٤- " دول العرب " سنة ١٩٣٢م .

١٥- " السيدة هدى " .

١٦- البخيلة .

١٧- " كشكول " جامع القصائد التى لم تنشر ، وقصائد سهلة للأطفال.

١٨- " كلمات شوقى " (جمعها عبد العال أحمد حمدان) .

١٩- " الشوقيات المجهولة " ، جمعها د. محمد صبرى السربونى فى جزءين .

عالج " شوقى " أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، ورثاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محلقاً فتناول الأحداث الاجتماعية والسياسية في مصر والشرق والعالم الإسلامي ، وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي بالعربية وقد حاوله قبله أفراد، فنبذهم وتفرد. وأراد أن يجمع بين عنصري البيان: الشعر والنثر، فكتب نثراً مسموعاً على نمط المقامات فلم يلق نجاحاً فعاد إلى الشعر.

ومن الثابت أن " شوقى " لم تُكفل له حريته فى فترة التصاقه بالقصر والخديوى " عباس حلمى الثانى " على وجه التحديد ؛ إذ كان مشدودا بحكم وظيفته إلى القصر وصاحبه ، ولكنه مع ذلك حاول أن يفرغ لنفسه ولفنه ، فنظم على ألسنة الحيوان شعرا على نسق ما قرأه فى الفرنسية للشاعر " لافونتين " فى خرافاته " Le fables ". وحاول محاولة أروع من تلك المحاولة ، إذ قرأ عند بعض الشعراء الفرنسيين شعرا تاريخيا رائعا من مثل " أساطير القرون لـ " فيكتور هيجو" ، فرأى أن ينظم على هذا المثال قصيدته الطويلة " كبار الحوادث فى وادى النيل " وألقاها فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى سنة ١٨٩٤ م، يقول فى مطلعها :

هَمَّتِ الفُلكُ وَاحتَواها الماءُ ... وَحَداها بِمَن تُقِلُّ الرَجاءُ
ضَرَبَ البَحرُ ذو العُبابِ حَوالَيـ ... ـها سَماءً قَد أَكبَرَتها السَماءُ
وَرَأى المارِقونَ مِن شَرَكِ الأَر ... ضِ شِباكاً تَمُدُّها الدَأماءُ
وَجِبالاً مَوائِجاً في جِبالٍ ... تَتَدَجّى كَأَنَّها الظَلماءُ
وَدَوِيّاً كَما تَأَهَّبَتِ الخَيـ ... ـلُ وَهاجَت حُماتَها الهَيجاءُ
لُجَّةٌ عِندَ لُجَّةٍ عِندَ أُخرى ... كَهِضابٍ ماجَت بِها البَيداءُ

وَسَفينٌ طَوراً تَلوحُ وَحيناً ... يَتَوَلّى أَشباحَهُنَّ الخَفاءُ
نازِلاتٌ في سَيرِها صاعِداتٌ ... كَالهَوادي يَهُزُّهُنَّ الحُداءُ
رَبِّ إِن شِئتَ فَالفَضاءُ مَضيقٌ ... وَإِذا شِئتَ فَالمَضيقُ فَضاءُ

واستمر " شوقى " طويلا فى هذا الاتجاه ، فنظم فرعونياته المشهورة فى النيل وتوت عنخ آمون وقصر أنس الوجود وأبى الهول التى يقول فى بعضها :

أَبا الهَولِ طالَ عَلَيكَ العُصُر ... وَبُلِّغتَ في الأَرضِ أَقصى العُمُر
فَيالِدَةَ الدَهرِ لا الدَهرُ شَبَّ ... وَلا أَنتَ جاوَزتَ حَدَّ الصِغَر
إِلامَ رُكوبُكَ مَتنَ الرِمالِ ... لِطَيِّ الأَصيلِ وَجَوبِ السَحَر
تُسافِرُ مُنتَقِلاً في القُرونِ ... فَأَيّانَ تُلقي غُبارَ السَفَر
أَبَينَكَ عَهدٌ وَبَينَ الجِبالِ ... تَزولانِ في المَوعِدِ المُنتَظَر
أَبا الهَولِ ماذا وَراءَ البَقاءِ ... إِذا ما تَطاوَلَ غَيرُ الضَجَر
عَجِبتُ لِلُقمانَ في حِرصِهِ ... عَلى لُبَدٍ وَالنُسورِ الأُخَر
وَشَكوى لَبيدٍ لِطولِ الحَياةِ ... وَلَو لَم تَطُل لَتَشَكّى القِصَر
وَلَو وُجِدَت فيكَ يا بنَ الصَفاةِ ... لَحَقتَ بِصانِعِكَ المُقتَدِر
فَإِنَّ الحَياةَ تَفُلُّ الحَديدَ ... إِذا لَبِسَتهُ وَتُبلي الحَجَر
أَبا الهَولِ ما أَنتَ في المُعضِلاتِ ... لَقَد ضَلَّتِ السُبلَ فيكَ الفِكَر
تَحَيَّرَتِ البَدوُ ماذا تَكونُ ... وَضَلَّت بِوادي الظُنونِ الحَضَر
فَكُنتَ لَهُم صورَةَ العُنفُوانُ ... وَكُنتَ مِثالَ الحِجى وَالبَصَر
وَسِرُّكَ في حُجبِهِ كُلَّما ... أَطَلَّت عَلَيهِ الظُنونُ اِستَتَر
وَما راعَهُم غَيرُ رَأسِ الرِجالِ ... عَلى هَيكَلٍ مِن ذَواتِ الظُفُر
وَلَو صَوَّروا مِن نَواحي الطِباعِ ... تَوالَوا عَلَيكَ سِباعَ الصُوَر
فَيا رُبَّ وَجهٍ كَصافي النَميرِ ... تَشابَهَ حامِلُهُ وَالنَمِر

ومد شعره إلى ينابيع الإسلام ، فاستقى منها قصائد رائعة فى مديح الرسول من مثل الميمية التى عارض فيها بردة " الإمام البوصيرى " وقصيدته الرائعة " ولد الهدى " التى يقول فيها :

داءُ الجَماعَةِ مِن أرِسطاليسَ لَم / يوصَف لَهُ حَتّى أتَيتَ دَواءُ
فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبادِ حُكومَةً / لا سوقَةٌ فيها وَلا أُمَراءُ
اللَهُ فَوقَ الخَلقِ فيها وَحدَهُ / وَالناسُ تَحتَ لِوائِها أَكفاءُ
وَالدينُ يُسرٌ وَالخِلافَةُ بَيعَةٌ / وَالأَمرُ شورى وَالحُقوقُ قَضاءُ
الإِشتِراكِيّونَ أَنتَ إِمامُهُم / لَولا دَعاوى القَومِ وَالغُلَواءُ
داوَيتَ مُتَّئِداً وَداوَوا طَفرَةً / وَأَخَفُّ مِن بَعضِ الدَواءِ الداءُ
الحَربُ في حَقٍّ لَدَيكَ شَريعَةٌ / وَمِنَ السُمومِ الناقِعاتِ دَواءُ
وَالبِرُّ عِندَكَ ذِمَّةٌ وَفَريضَةٌ / لا مِنَّةٌ مَمنونَةٌ وَجَباءُ
جاءَت فَوَحَّدَتِ الزَكاةُ سَبيلَهُ / حَتّى اِلتَقى الكُرَماءُ وَالبُخَلاءُ
أَنصَفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى / فَالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَواءُ
فَلَوَ اَنَّ إِنساناً تَخَيَّرَ مِلَّةً / ما اِختارَ إِلّا دينَكَ الفُقَراءُ

كما استقى فى شعره أحيانا من ينابيع العروبة ، وكل ذلك معناه أنه يريد الانطلاق من قيود القصر وصاحبه والتحليق فى آفاق أوسع وأرحب .

وعندما رجع " شوقى " إلى مصر بعد النفى وجد " أرضها تخضبها دماء شبابنا فى ثورتنا الوطنية الأولى ، ولم تلبث حريتنا أن ردت إلينا ، كما ردت حرية " شوقى " إليه . ومن هنا تبدأ الدورة الثانية فى حياته الأدبية فإنه لم يعد يفكر فى القصر ولا فى وظيفته فيه ، فقد أصبح حرا طليقا ، وهيأ له ثراؤه أن ينعم إلى أقصى حد بهذه الحرية ، فخلص لفنه ولشعبه وأخذ يغنيه أغانى وطنية رائعة . ولم يكد يبدأ هذه الأغانى حتى بذّ حافظا الذى كان يتفوق عليه فى هذا المجال قبل الحرب وقبل توظفه فى دار الكتب المصرية ، ومرجع ذلك أن فنه كان أروع من فن " حافظ " ، فلما اتجه به إلى تصوير عواطفنا الوطنية وحياتنا السياسية بلغ من ذلك الغاية التى لا تمتد إليها الأعناق.

ولم يُغنِّ مواطنيه وحدهم أهواءهم وعواطفهم السياسية، بل أخذ يغني الشعوب العربية أهواءها وعواطفها القومية ، وله في ثورات سوريا على الفرنسيين قصائد باهرة . ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان بشيرا بفكرة الجامعة العربية التي تأسست من بعده؛ فشعره في هذه الدورة من حياته يفيض بالوحدة العربية وأن العرب جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ومن قوله في هذه المعاني مخاطبا أبناء العروبة في قصيدته " دمشق " :

المُلكُ أن تعمَلوا ما اسطَعتُمو عَمَلاً ... وَأن يَبينَ عَلى الأعمالِ إتقانُ
المُلكُ أن تُخرَجَ الأموالُ ناشِطَةً ... لِمَطلَبٍ فيهِ إصلاحٌ وَعُمرانُ
المُلكُ تَحتَ لِسانٍ حَولَهُ أَدَبٌ ... وَتَحتَ عَقلٍ عَلى جَنبَيهِ عِرفانُ
المُلكُ أن تَتَلافَوا في هَوى وَطَنٍ ... تَفَرَّقَت فيهِ أجناسٌ وَأديانُ
نَصيحَةٌ مِلؤُها الإِخلاصُ صادِقَةٌ ... وَالنُصحُ خالِصُهُ دينٌ وَإيمانُ
وَالشِعرُ ما لَم يَكُن ذِكرى وَعاطِفَةً ... أو حِكمَةً فَهوَ تَقطيعٌ وَأوزانُ
وَنَحنُ في الشَرقِ وَالفُصحى بَنو رَحِمٍ ... وَنَحنُ في الجُرحِ وَالآلامِ إخوانُ

ومن ذلك قوله في قصيدته " تحية الشعر " التي ألقيت في دار الأوبرا الملكية في حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذي انعقد فيها :

كانَ شِعري الغِناءَ في فَرَحِ الشَرقِ ... وَكانَ العَزاءُ في أحزانِه
قَد قَضى اللَهُ أن يُؤَلِّفَنا الجُرحُ ... وَأن نَلتَقي عَلى أشجانِه
كُلَّما أَنَّ بِالعِراقِ جَريحٌ ... لَمَسَ الشَرقُ جَنبَهُ في عُمانِه
وَعَلَينا كَما عَلَيكُم حَديدٌ ... تَتَنَزّى اللُيوثُ في قُضبانِه
نَحنُ في الفِقهِ بِالدِيارِ سَواءٌ ... كُلُّنا مُشفِقٌ عَلى أوطانِه

بهذا استحق " شوقي " أن يكون أمير الشعراء وشاعر العروبة والإسلام والمبدع الذي أسدل أستارا كثيفة على أقرانه من الشعراء الذين

عاصروه ، ولم يكن فى وسع هؤلاء الشعراء إلا أن يقروا تنصيبه أميرا عليهم راضين مقتنعين كما يبدو فى قول " حافظ إبراهيم" :

بَلابِلَ وادي النيلِ بِالمَشرِقِ اِسجَعي ... بِشِعرِ أَميرِ الدَولَتَينِ وَرَجِّعي
أَعيدي عَلى الأَسماعِ ما غَرَّدَت بِهِ ... يَراعَةُ شَوقي في اِبتِداءٍ وَمَقطَعِ
بَراها لَهُ الباري فَلَم يَنبُ سِنُّها ... إِذا ما نَبا العَسّالُ في كَفِّ أَروَعِ
مَواقِعُها في الشَرقِ وَالشَرقُ مُجدِبٌ ... مَواقِعُ صَيبِ الغَيثِ في كُلِّ بَلقَعِ
لَدَيها وُفودُ اللَفظِ تَنساقُ خَلفَها ... وُفودُ المَعاني خُشَّعاً عِندَ خُشَّعِ

ثم يخاطبه قائلا :

أَميرَ القَوافي قَد أَتَيتُ مُبايِعاً ... وَهَذي وُفودُ الشَرقِ قَد بايَعَت مَعي
فَغَنِّ رُبوعَ النيلِ وَاِعطِف بِنَظرَةٍ ... عَلى ساكِني النَهرَينِ وَاِصدَح وَأَبدِعِ
وَلا تَنسَ نَجداً إِنَّها مَنبِتُ الهَوى ... وَمَرعى المَها مِن سارِحاتٍ وَرُتَّعِ
وَحَيِّ ذُرى لُبنانَ وَاِجعَل لِتونُسٍ ... نَصيباً مِنَ السَلوى وَقَسِّم وَوَزِّعِ
فَفي الشِعرِ حَثُّ الطامِحينَ إِلى العُلا ... وَفي الشِعرِ زُهدُ الناسِكِ المُتَوَرِّعِ
وَفي الشِعرِ ما يُغني عَنِ السَيفِ وَقعُهُ ... كَما رَوَّعَ الأَعداءَ بَيتٌ لِأَشجَعِ
وَفي الشِعرِ إِحياءُ النُفوسِ وَرِيُّها ... وَأَنتَ لِرِيِّ النَفسِ أَعذَبُ مَنبَعِ
فَنَبِّه عُقولاً طالَ عَهدُ رُقادِها ... وَأَفئِدَةً شُدَّت إِلَيها بِأَنسُعِ
فَقَد غَمَرَتها مِحنَةٌ فَوقَ مِحنَةٍ ... وَأَنتَ لَها يا شاعِرَ الشَرقِ فَاِدفَعِ
وَأَنتَ بِحَمدِ اللَهِ ما زِلتَ قادِراً ... عَلى النَفعِ فَاِستَنهِض بَيانَكَ وَاِنفَعِ
وَخُذ بِزِمامِ القَومِ وَاِنزِع بِأَهلِهِ ... إِلى المَجدِ وَالعَلياءِ أَكرَمَ مَنزِعِ
وَقِفنا عَلى النَهجِ القَويمِ فَإِنَّنا ... سَلَكنا طَريقاً لِلهُدى غَيرَ مَهيَعِ
مَلَأنا طِباقَ الأَرضِ وَجداً وَلَوعَةً ... بِهِندٍ وَدَعدٍ وَالرَبابِ وَبَوزَعِ
وَمَلَّت بَناتُ الشِعرِ مِنّا مَواقِفاً ... بِسِقطِ اللِوى وَالرَقمَتَينِ وَلَعلَعِ
وَأَقوامُنا في الشَرقِ قَد طالَ نَومُهُم ... وَما كانَ نَومُ الشِعرِ بِالمُتَوَقَّعِ
تَغَيَّرَتِ الدُنيا وَقَد كانَ أَهلُها ... يَرَونَ مُتونَ العيسِ أَليَنَ مَضجَعِ

- ٢ -

مدخل فى حكايات الحيوان

أما بالنسبة للحكايات على لسان الحيوان فهو فن قديم فى آداب العالم المختلفة ، ومما يلاحظ أنه بدا فى الآداب الغربية نثرا ثم سرعان ما صار شعرا ويرجع هذا التاريخ إلى ما قبل اليونان ثم برز على يد " إيسوبس " [٢] ، ثم تأثر الأدب اللاتينى بما ورد من هذا الجنس الفنى عند اليونان .

" وانتهى ذلك الميراث فى هذا الجنس الأدبى إلى " لافونتين " الفرنسى ١٦٢١م : ١٦٩٥م فتأثر به وحاكاه وأخذ كثيرا من موضوعاته عن سابقيه وبخاصة من اليونانيين واللاتينيين ولكنه بلغ بهذا الجنس الأدبى أقصى ما قدر له من كمال فنى ، فقد راعى الأسس الفنية العامة التى لحظها النابغون فى ذلك الجنس الأدبى من سابقيه ، ثم استكمل هذه القواعد الفنية ، وبرع فيها حتى صار مثالا لمن حاكوه فى الآداب جميعا " [٣]

وهذه القواعد الفنية التى تجمعت فى حكايات "لافونتين" على لسان الحيوان أو ما اصطلح النقاد على تسميتها بالخرافة " fable " التى يغلب عليها ذلك الطابع الأخلاقى من جهة والتعليمى من جهة أخرى فى قالبها الأدبى الخاص بها " وهى تنحو منحى الرمز فى معناه اللغوى العام ، لا فى معناه المذهبى ، فالرمز فيها معناه أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات وحوادث ، على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة بحيث يتتبع المرء فى قراءتها صور الشخصيات الظاهرة التى تشف عن صور شخصيات أخرى تتراءى خلف هذه الشخصيات الظاهرة . وغالبا ما

تحكـى عـلى لسـان الحـيوان أو النـبات أو الجمـاد ، ولكـنها قـد تحكـى كذلك على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزا لشخصيات أخرى"[4].

أمـا بالنسـبة لنشـأة شـعر الحـيوان فـى الأدب العـربى فمـن الثابـت أن الحـيوان قـد جـاء ذكـره كـثيرا مـنذ بدايـات الشـعر العـربى فـى الجاهلية بطـريقة وصـفية تتشـكل مـن خلالهـا مفـردات الصـورة الشـعرية ولم يـتعدى ذلـك إلى أن يشـكل الحـيوان عنصـرا أساسـيا فـى حكايـة أو قصـة شـعرية أو غـير شـعرية تحمـل العـبرة والعظـة وتبـث قـيما إلا نـادرا جـدا ، وقـد استمر ذلـك إلى أن طلـع عليـنا " عـبد الله بـن المقفـع " بكـتابه الـرائد " كلـيلة ودمـنة " الـذى اخـتلف الـنقاد حولـه أهـو مترجـم أم مؤلـف ، فأصـبح ابـن المقفع بهذا رائدا لهذا الفن فى العربية [5]

ومهمـا يكـن مـن أمـر هـذا الخـلاف فالثابـت أن " كلـيلة ودمـنة " كـتاب رائـد فـى ذلـك الفـن الـذى يسـتنطق الحـيوان ، فكـان إضـافة لا مـراء فـيها إلى وصـف الحـيوان فـى الشـعر العـربى ، وهـو نتـيجة طبعـية للاخـتلاط بالأعـاجم الـذى أدى إلى امـتزاج الـثقافة الإسـلامية بـثقافات الـبلاد المفـتوحة كالفارسـية والهـندية والرومانـية واليونانـية والمصـرية ... ، والثابت أن كل الكتابات المتأخرة عن " كليلة ودمنة" متأثرة بها [6]

وفى فضل هذا الكتاب يقول الجاحظ ـ فى رسائله ـ :

" ودفـتر كلـيلة ودمـنة كـنْز حكمـته ظـنٌ أنّـه الفـاروق الأكـبر في الـتدبير ، وابـن عـبّاس في العـلم بالـتأويل ، ومُعـاذ بـن جـبلٍ في العـلم بـالحلال والحـرام ، وعلـيٌ بـن أبـي طالـب في الجـرأة عـلى القضـاء والأحكـام، وأبـو الهذيـل العـلاف في الجـُزْء والطُفـرة ، وإبراهـيم بـن سـيار الـنظّام في المكامـنات والمجانسـات ، وحسـينٌ الـنّجّار في العـبارات والقـول بالإثبات ، والأصمعيُ وأبو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالأنساب ".

ويضيف " بازيـر العزيـز بـالله الفـاطمى " فـى" البـيزرة " مشـيدا بمضامين كتاب " كليلة ودمنة " وفضله :

" وهـذا كـتاب كلـيلة ودمـنة المـتعارف علـيه بـين الحكمـاء فضـله، المشـتملة عـلى الآداب جملـه وفصـوله، ذكـر واضـعه أنـه حكمـة ألفهـا، وجعـلها عـلى ألسـنة الطـير والوحـش، للطـف مواقعهـا مـن الـنفوس، بمقارنـة الشـكل الحـيواني، وإذا كانـت كذلـك كانـت بـالقلوب أمـس، مـن الحفـظ أقـرب، وإذا كـان لذكـرها والحكايـة عـنها هـذا الموضـع، فمـا ظـنك بمشاهدتها ومطاردتها والظفر بما امتنع على الطالب منها " .

وقـد وضـع هـذا الكـتاب فـى الأسـاس لإصـلاح الأخـلاق وتهذيـب الـنفوس " وتـرجع مواضـيع النصـح فـى هـذا الكـتاب إلى مـا يحـتاج إلـيه الـناس فـى معـاملاتهم كوجـوب الابـتعاد عـن سمـاع كـلام السـاعى والـنمام ووخامـة خاتمـة الأشـرار ومـنافع الأصـحاب وعـدم جـواز الأمـن مـن كـيد العـدو ومـدار الإهمـال والغفلـة وآفـة التعجـيل وفـائدة الحـزم وعـدم الاعـتماد عـلى أربـاب الحقـد ونحـو ذلـك ممـا يهـذب الـنفوس ويـرقى العواطـف وضمّنه حكايات يتفرع بعضها من بعض ترجع إلى اثنى عشر بابا " [٧]

وقـد عـنى الكـتاب والشـعراء ـ قديمـا ـ بكـتاب " كلـيلة ودمـنة " وأخـذوا مـنه وصـاغوه شـعرا كمـا صـنع " أبـان بـن عـبد الحمـيد اللاحقـى " الـذى " نقـل للـبرامكة كـتاب كلـيلة ودمـنة ، فجعلـه شـعراً ، ليسـهل حفظه عليهم ، وهو معروف ، أوله :

هـــذا كـــتاب أدب ومحـــنـه	وهـو الـذي يدعـى كلـيلة ودمـنه
فـــيه احتـــيالات وفـــيه رشـــد	وهـــو كـــتاب وضـــعته الهـــند

فأعطـــاه " يحـــيى بـــن خـــالد " عشـــرة آلاف ديـــنار، وأعطـــاه "الفضـــل" خمســـة آلاف ديـــنار، ولم يعطـــه " جعفـــر" شـــيئاً، وقـــال: ألا

يكفيك أن أحفظه فأكون روايتك؟ وعمل أيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق، وسماها ذات الحلل، ومن الناس من ينسبها إلى أبي العتاهية، والصحيح أنها لأبان. (الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى)

و" الجاحظ " يشير فى " الأمل والمأمول " إلى قراءته فى " كليلة ودمنة " واستلهام الشعراء معانيه ومضامينه فيقول:

" قرأت في كتاب كليلة ودمنة: إن السبب المانع رزق العاقل هو الذي يسوق رزق الجاهل، قال الشاعر:

الجد أنهض بالفتى من عقله	فانهض بجد في الحوادث أو ذر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها	قدر وأبعدها إذا لم يقدر
فاذا تعسرت الأمور فارجها	وعليك بالأمر الذي لم يعسر"

كما كان " الجاحظ " حريصا ـ كذلك ـ على الاستعانة بحكمة " ابن المقفع " فى " كليلة ودمنة " فيقول :

" وفي كتاب كليلة ودمنة: الفقر داعية الى أصحابه مقت الناس، وهو مسلبة للعقل وللمروءة ، ومذهبة للعلم والأدب ، ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا. من نزل به الفقر والفاقة لم يجد بداً من ترك الحياء، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره مقت وأوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فقد عقله واستنكر حفظه وفهمه، ومن أصيب بفهمه وعقله وحفظه كان أكثر قوله وعمله قيمةً عليه لا له. فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمناً وأساء به الظن من كان يظنّ به حسناً، وإن أذنب غيره ظنوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعاً، وليس من خلة هي للغني مدح إلا هي للفقير عيب، فإن كان شجاعاً سمي أهوج، وإن كان جواداً سمي مفسداً، وإن كان حليماً سمي

ضعيفاً، وإن كان وقوراً سمي بليداً. فالموت أهون من الفاقة التي يضطر صاحبها الى المسألة لا سيما من البخيل" .

وإذا كانت البداية حقيقية ـ كما رأينا ـ لقصص الحيوان فى الأدب العربى مرتبطة بالترجمة والاقتباس من الآداب الأجنبية فقد استمرت هذه الحال إلى العصر الحديث حيث استمر هذا التأثر بالأدب الغربى بصفة عامة وحكايات "لافونتين" بصفة خاصة " وكان أول من تأثر بـ " لافونتين " " محمد عثمان جلال " الذى كتب حكاياته بين عامى ١٨٤٨م : ١٨٥٤م فى حين أن " شوقى " نشر حكاياته ١٨٩٨م وهذا يرد ما ذهب إليه " عبد الرحمن صدقى " من أن " شوقى " ـ فى رأيه ـ كان أول من أدخل هذا الفن فى الشعر العربى" [٨]

ومعنى هذا أن " محمد عثمان جلال " قد كتب حكاياته قبل مولد " أحمد شوقى " بنحو خمسة عشرة عاما كاملة (ميلاد شوقى ١٦ أكتوبر١٨٧٠م) ومما يذكر أيضا أن وزارة المعارف العمومية قررت تدريسه بالمدارس الابتدائية عام ١٨٩٤م ثم طبع الكتاب للمرة الثانية سنة ١٩٠٨م ثم للمرة الثالثة محققا [٩] على الرغم من هذه الريادة لحكايات الحيوان فى الشعر الحديث فمن الثابت أنه تأثر لكل من سبقه فى هذا الفن وخصوصا " لافونتين " [١٠] .

محمد بن عثمان بن يوسف الحسني الجلالي الونائي ولد فى ١٢٤٢هـ ـ ١٨٢٦م ، شاعر ومترجم وأديب مصري، نشأ يتيماً إذ توفي والده (١٢٤٩ هـ ١٨٣٣ م) وعمره لم يتجاوز السبع سنين ونشأ على محبة العلم والاجتهاد .

اختاره رفاعة الطهطاوي لدراسة اللغات الفرنسية والعربية في دار اللغات لما رأى فيه من نبوغ وفطنة، وندب في عام ١٢٦١ هـ ــ ١٨٤٥م لتعليم اللغة الفرنسية في الديوان الخديوي.

وفي عهد الخديوي إسماعيل عين في ديوان الواردات بالإسكندرية رئيساً للمترجمين بديوان البحرية ، ثم عينه الخديوي توفيق (وكان أميراً) رئيساً لقلم الترجمة بوزارة الداخلية.

ثم عين قاضياً بالمحاكم المختلطة ، ومنحته الحكومة المصرية رتبة المتمايز الرفيعة والحكومة الفرنسية ١٨٨٦ م نيشان الأكاديمية من رتبة ضابط ولاقته المنية١٨٩٨ م.

له : عطار الملوك، والعيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ، والأربع روايات في نخب التيارات، والروايات المفيدة في علم التراجيدة، ومسرحية سيد، ورواية الأماني والمنة في حديث قبول وورود جنة، ورواية المخدمين، وأرجوزة في تاريخ مصر، وديوان شعر، وديوان الزجل والملح.

ومما يلاحظ أن " محمد عثمان جلال " فى حكاياته على لسان الحيوان كان ضعيف الديباجة ركيك الأسلوب مضطرب الألفاظ يحرص فى بعض الأحيان على الترجمة المباشرة دون تقريب ذلك إلى الروح المصرية أو العربية كما يلاحظ أنه من أوائل من استخدموا لغة العامة فى شعرهم حتى تفهمه الكثرة من الأمة ـ خصوصا الأطفال ـ [11].

ومجموع القصائد الشعرية لـ " محمد عثمان جلال " أربع قصائد ومائتان احتوت أربع مائة وثلاثة آلاف بيت . وهاكم قصيدة منها يقول فيها :

قالَ الحِمارُ لمتى أعذَّبُ ... وَأحمل الأثقال ثُمَّ أركب

أصبحُ موثوقاً لجلب المـاءِ	وَأدخل الطـاحونَ بالغمّـاء
وَكُـلما زادَ بـي إجهـادي	زادَ بـيَ الضَـربُ عَـلى فُـؤادي
حـتام ذا المقـت وَذا العـذابُ	وَالقـط في البَيـت لَـهُ أحـبابُ
وَمـا رَأيـت القِـط قَـطُّ يُضـربُ	مَـع أنّـهُ طُـول الـنَهار يَلعَـبُ
فَـتـارَةً يَكشـف سـل العَـيش	وَتـارَةً يَـبولُ فَـوقَ الفَـرش
أظـن مَـولاي قَـد اِسـتَخَفَـه	لِرَقصِـهِ وَنطِّـهِ بخفَّـه
إن كـانَ هَـذا يوجـب الإكـراما	وَيَـدفع العَـذابَ وَالآلامـا
فَاليَوم إن أتـى إلـيَّ سَـيِّدي	أفـك قَـيدي ثُـم أعطـيهِ يَـدي
وَلـم أزَل في لعـب وَحَـظ	وَأفـتن الـناسَ بِحُسـن لَفظـي
قـالَ فَلَمـا جـاءَ رَبُّ الـدار	وَفـتح الـباب عَـلى الحِمـار
فَـكَ الحِمـارُ قَـيده وَجـاء	فَظَـنه المَـولى يُـريدُ المـاء
وَبَيـنَما السـيد فَـوقَ الكُرسـي	مُلتَفِـتاً إلى الحِمـار الـنَحس
إذ أقـبَلَ الحِمـار نَحـوَ صـاحِبه	نَـطَّ عَلَـيهِ عـاجِلاً وَصـاحَ بِـه
فَأقـبَل الخـادم يَجـري بِالعَصـا	وَظَهـرهُ مِـن ضَـربِهِ قَـد قلّصـا
وَشـاعَ حـالاً أمـرهُ في الـدار	وَالقـط لا يشـبه لِـلحِمـار
وَصـحَ بعـد ضـربه ضـرب المـثل	أمـا الثقـيل فثقـيل لـم يـزل

ويعـد " أحمـد شـوقى " مـن أهـم شـعراء العربـية فـى العصـر الحديـث الذيـن جـاروا " لافونـتين " فـى حكاياتـه عـلى لسـان الحـيوان متأثرا بكثير من سمات هذه الحكايات موضوعيا وفنيا ، ومـن ثـم بلـغ " شـوقى " بهـذا الجـنس الأدبـى مكانـة عالـية فـى تـاريخ الأدب العـربى وكـان قد اطلع علـى آثـاره وخصوصا هـذه الحكايـات فـى أثـناء دراسته فى فرنسا ؛ و" شـوقى " نفسه يقـر بهـذا الـتأثر بصـراحة ووضـوح فـى مقدمـة الجـزء الأول مـن ديوانـه الـذى نشـره سـنة ١٨٩٨م بقولـه : " فجربـت خاطـرى فـى هـذه الحكايـات عـلى أسـلوب " لافونـتين " الشـهير وفـى هـذه المجموعـة شـيء مـن ذلـك فكنـت إذا فرغـت مـن وضـع أسـطورتين أو ثـلاث إذ أجـتمع بـأحداث المصـريين وأقـرأ علـيهم شـيئا مـنها يـتفهمونه لأول وهلـة

ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقني الله لأجعل لأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من جمالها على قدر عقولهم".

فتأثير " لافونتين " على حكايات " شوقي " بادٍ بوضوح ، وإن كان " محمد عثمان جلال " قلد هذه الحكايات بلغة العامة فإن " شوقي " قد ترجم منها وقلدها بلغة فصيحة سهلة ليجد فيها الأطفال موعظة تشق طريقها بسهولة ويسر إلى نفوسهم وعقولهم ، لذلك كان " شوقي " حريصا على تلاوته على أسماع الأحداث لينظر مدى تقبلهم هذا الفن ، لكن الدكتور " شوقي ضيف " يذهب إلى أن هذه الحكايات مجرد قصص على هذا النحو الخفيف لا فلسفة فيه ولا عمق في أفكاره، ويذهب إلى أن الشاعر يكتفي بأقرب الأشياء وأسهلها منالا دون تعب ولا مشقة في سبيل الجديد الذي يريده، وسيتبين عدم صحة هذا الرأي على إطلاقه .

وقد كان حسن استقبال أحداث المصريين شعر" شوقي" في حكاياته على لسان الحيوان دافعا لاستمراره في نظم مثل تلك الحكايات ومع هذا فإنه لم ينشرها كاملة بل نشر بعضها في الجزء الأول من ديوانه ١٨٩٨م ، ثم أعاد نشرها في طبعة الشوقيات الثانية سنة ١٩١١م لكن الطبعة الثالثة للجزء الأول من الشوقيات أهملت نشر الحكايات على لسان الحيوان لذا كادت تضيع لولا " محمد سعيد العريان " الذي حقق الجزء الرابع من ديوان الشوقيات ونشره ١٩٤٣م، فجمع كثيرا منها تحت باب الحكايات .

وقد أثر على عدم نشر هذه الحكايات فى فترة ما هذا النقد المحافظ الذى وجهه النقاد إلى " شوقى " بخصوص هذه الحكايات لوقوع هذا النقد فى مرحلة شباب " شوقى " فإن ثورة التجديد التى نقرؤها فى مقدمته للجزء الأول من (الشوقيات) لا تلبث أن تهدأ فى نفسه ويقبع فى القدر وفى إطار الشعر العربى القديم كأنه يريد أن يثبت تفوقه وانتصاره عليهم [١٢]

وأغلب الظن أن " شوقى " ذاته كان قد ساعد فى عدم نشر هذه الحكايات فى الطبعة الثالثة لديوانه بسبب ارتباطه الشديد بالقصر والخديوى إضافة إلى حرصه على شهرته العامة وبعد صيته فى البلاد العربية فتخوف من مفاجأته بمفاجأة المجتمع العربى بالتجديد ، خصوصا أن عددا من النقاد كـ " المويلحى " هاجم هذا الاتجاه الجديد عند " شوقى " – فى صحيفة مصباح الشرق ـ ورفضه زاعما أن الشعر العربى ليس بحاجة إلى مثل هذا التجديد [١٣]

ومهما يكن من أمر فإن الحكايات على لسان الحيوان فن أدبى أصيل أقره النقاد واصطلح كثير منهم على تسميته الخرافة " fable " وهى ـ عندهم ـ قصة حيوانية يتكلم الحيوان فيها ويمثل مع احتفاظه بحيوانيته ولها مغزى ويمكن أن يقوم بدور البطولة فيها الطير والنبات والجماد والإنسان إلى جانب الحيوان ، لكنها نسبت إلى الحيوان وحده لأنه أكثر ورودا فى هذه القصص والحكايات والقصص التى وردت عنه أكثر عددا وهؤلاء الأبطال مهما كانوا ليسوا إلا صورة رمزية لأبطال حقيقيين .

كما تلتقى الخرافة فى كثير من خصائصها بقصة الموعظة فهما يدخلان ضمن الأشكال الأدبية التعليمية فهما يتفقان فى الغاية التى

ترمى إليها كل منهما أو الدروس النافعة التى تنقلها والخلاف الوحيد الذى يبرز بينهما أن الخرافة تكون أقل تعقيدا وطولا مما تكون عليه قصة الموعظة عادة إضافة إلى أنه قد توجد بعض الخرافات تخلو من المغزى الخلقى [١٤]

وقد أفاد الكتاب والشعراء قديما وحديثا من طبيعة فن الكتابة على لسان الحيوان باتخاذها قناعا يمكنه من قول ما يريد دون خوف من حاكم يبطش به أو خجل من صديق يعتب عليه ويكون ذلك فى إطار من الهزل والجد معا " وفى هذا حسن تصرف ولباقة وإقناع وتهذيب وبعد عن المساءلة تحت ستار الرمز وربما كان هذا هو الذى يدعو شعراء اليوم إلى الإيغال فى الرمز لحد الغموض لشعورهم بعدم حرية التعبير أو أن هناك شيئا يهدد حياتهم وألسنتهم " [١٥]

لقد برع " شوقى " فى استخدام هذا القناع إلى حد جعل بعض الدارسين يذهب إلى أن هذه القصائد المحكية على لسان الحيوان تتميز بسمات رمزية يصعب على الأطفال – أحيانا – فهمها إلا بواسطة معلم وأن بها ألفاظا لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوى ولا الإدراكى ، لكنها تبقى فى النهاية دعوة طيبة من " أحمد شوقى " منذ نهايات القرن التاسع عشر الميلادى إلى ضرورة توجيه الأدب للطفل بالتعاون بين معشر الأدباء لقيام جنس أدبى للطفل .

وقد كانت حكاياته محملة بهذه الرموز ولم تقف عند حد العبرة والعظة بالدوران فى إطار تعليمى وتلقين القيم والمعارف والآداب الحميدة والعظات المباشرة مثل أقرانه ممن كتبوا حكايات على لسان الحيوان وهو الوحيد من بين هؤلاء الذى كانت حكاياته محملة بالأدب الرمزى فى إطاره الحكيم [١٦].

- ٣ -

قيم خلقية



إن السؤال الذى يطرح نفسه على البحث : ما أهم القضايا التى طرحها " شوقى " وناقشها فى هذه الحكايات على لسان الحيوان؟

كان " شوقى " مشغولا بالنفس الإنسانية والخصال التى تستقر بهذه النفس وهذه الخصال منها ما يتعلق بالإنسان الفرد ومنها ما يتعلق بالمجتمع والأمة بأسرها ، ومن هذا وذاك خصال مقبولة وأخرى مرزولة، و" شوقى " يرمى من وراء حكاياته إلى ترسيخ مكارم الأخلاق .

والخلق فى الأساس خلقان ؛ خلق لازم فى حياة الناس وفى السعى إلى الأرزاق لا تصلح الحياة إلا به " أما الفضائل فضرب من الكمال وزيادة فى العطاء وهذا هو الشق الثانى من الأخلاق التى نعنيها عند " شوقى " والذى يقع به الفضل والتمايز بين الناس لأنه يتقاضى الناس شيئا من الجهد والمشقة لا يستطيع إلا أولو العزم فى الحياة ، فالفضل - لغة - هو الزيادة وما سمى فضلا إلا لأنه يتقاضى الناس زيادة غير مطلوبة فى التصرف وجهدا لا تقرره القوانين " (١٧)

فـ " شوقى " حريص على الخلق الكريم وعلى فضائل القيم ؛ فالعالم بلا قيم يمهد - بالأساس - لقيم خطرة وحيوانية شرسة ، والقيم الإنسانية فاعلة تشكل أدوات استعمال الإنسان الإيجابى والحضارى ، وبفعل التراكم القيمى والامتدادات الزمنية تتعرض هذه القيم إلى فقد بريقها المرتبط - مباشرة - بشروطه المرحلية لا غير (١٨)

وكان " شوقى " لا يوجه - فى علاقاته الاجتماعية والأسرية على وجه الخصوص - لوما وتوبيخا ونصحا ، بل كان يبث ذلك بثا

فـى ثـنايا كلامـه ، وكـان يقـول : " إن اللـين يفعـل بالمـرء مـالا تفعله الشدة " فكان يعرض ما يريد كأنه يتحدث فى أمر عام [١٩]

ومـن هـذه الفضـائل الـتى أراد " شـوقى " أن يرسـخها فـى الـناس تقديـم العـون إلى المحـتاج دون انـتظار لـلجزاء ودون عـلم المعطـى وقـد صـاغ هـذا المعـنى فـى حكايـة " العصـفور والغديـر المهجـور " [٢٠] حيـث عـثر العصـفور عـلى مجـرى مـائى مختبئ بـين الآكـام يسـقى مـا حولـه ولا يدرى أحـد مـن أيـن هـذا النـبع ، وشـرب العصـفور حـتى ارتـوى ثـم اسـتأذنه أن يخبر الإنسان عن مكانه لينال خيره ويشكر فضله :

فالتفَـتَ الغديـرُ لِلعُصـفـور	وقـال يُهـدِى مُهجَـةَ المَغْـرُورِ
يأيُّهـا الشـاكِـرُ دونَ العـالَـمِ	أمَّـنكَ اللهُ يـدَ ابـنِ آدمِ
النّـيلُ ـ فـاسمعْ ، وافهـمِ الحديـثا ـ	يُعطِـى ، ولكـنْ يـأْخُذُ الخبيـثا
مـن طُـولِ مـا أبصـرَهُ الـناسُ نُسِـى	وصـار كـلٌّ الذِّكـرِ لِلمهـندِس
وهكـذا العَهـدُ بِـوُدِّ النـاسـى	وقـيمةُ المحسِـن عـندَ الـناس
وقـد عَرفـتَ حالـتى ، وضِـدَّها	فقـلْ لِمَـنْ يسـأَلُ عـنّى بَعدَهـا
إنْ خفِـىَ الـنـافعُ فالـنـفعُ ظَـهَـرْ	يا ﺁ ـخذَ مَنْ صَافَى ، وصُوفِى ، واستَتر !

وفـى حكايـة " الكلـب والحمامـة " [٢١] تقـدم الحمامـة فضـلا عمـيما للكلـب بإنقـاذه مـن الثعـبان الـذى كـان يتسـلل مـن خلفـه وهـو نـائم فنزلـت الحمامة ونقرت الكلب فهب قائما :

فحمـدَ اللهَ عـلى الـسـلامَهْ	وحَفِـظ الجمـيلَ لـلحمامَهْ

ورد الكلـب هـذا الجمـيل لـلحمامة عـندما جـاء البسـتانى يـريد اصطياد الطيور :

فسَـبَقَ الكلـبُ لـتلك الشـجـرَهْ	ليُـنذِرِ الطـيرَ كمـا قـد أنـذرَهْ
واتخـذ النّـبْحَ لـه عـلامَـهْ	ففهِمَـتْ حديـثَهُ الحمـامـهْ
وأقلعـتْ فـى الحـالِ لـلخلاصِ	فسَـلِمتْ مـن طـائِـرِ الرَّصـاصِ
هـذا هـو المعـروفُ يـأهلَ الفِطَـن	الـناسُ بالـناسِ ، ومَـن يُعِـن يُعَـن !

وتبدو هذه الفضيلة أيضا على لسان " دلفين " [٢٢] عندما مل حارس المنار وتعب من هذه الخدمة التى يهدى بها الضالين :

ودنا " دلفين " من الـ　　　ـحارس ثم اقتربا

...

فقال يا حارس خلّ الـ　　　ـسخط والتعتبا
من يسعف الناسَ إذا　　　نودى كل فأبى
وضاق بالإسعاف مَن　　　كان لذاك انتدبا
ما الناسُ إخوتى ولا　　　آدمُ كان لى أبا
انظر إلىّ كيف أقـ　　　ـضى لهم ما وجبا
قد عشتُ فى خدمتهم　　　ولا تراني تعِبا
كم من غريق قمتُ عنـ　　　ـد رأسه مطببا
وكان جسما هامدا　　　حركته فاضطربا
وكنت وطأتُ له　　　مناكبى فركبا
حتى أتى الشطُّ فبشـ　　　ـش من به ورحبا

ومن الفضائل التى أشار إليها " شوقى " أن يثبت الإنسان على المبدأ ويحسن الظن بالآخرين مقدما يد العون ممتنعا عن إبداء السوء ؛ وقد أشار إلى هذه الفضيلة إشارة بالسلب فى مجموعة من الحكايات المتتالية يصور فيها هذا التناقض الذى يصدر عن البشر الذين تجتمع عندهم كل الفضائل الطيبة لحظة وقوع الخطر والإحساس به ثم تزول هذه الفضائل بزوال الخطر؛ ففى حكايته " السفينة والحيوانات" [٢٣] عاش " شوقى " بخياله مع الحيوانات التى ركبت السفينة مع نوح عليه السلام :

جَرى بها ما لا جَرَى ببالِ　　　فما تعالى الموْجُ كالجِبالِ
... حتى مَشَى اللّيْثُ مع الحِمار　　　وأخَذ القِطُّ بأيدِى الفارِ
واستَمَعَ الفيلُ إلى الخِنزيرِ　　　مُؤتَنِساً بصوتِه النَّكيرِ
وجلس الهِرُّ بجنب الكلبِ　　　وقبَّل الخروفُ نابَ الذّئبِ

وعَطفَ البازُ على الغزالِ ... واجتمع النملُ على الأكّالِ

وفلّت الفرْخةُ صُوفَ الثعلبِ ... وتيّمَ ابن عِرْسَ حُبُّ الأرنبِ

فذهبَتْ سوابِقُ الأحقادِ ... وظَهر الأحبابُ فى الأعادى

لم تدم هذه الحياة طويلا ؛ فبمجرد نزولهم إلى الأرض واستواء السفينة على الجودى غلب الطبع على التطبع فعادوا إلى حيث كانت شيمهم الأولى :

فقِسْ على ذلك أحوالَ البشرْ ... إن شمِلَ المحذورُ ، أو عَمَّ الخَطَر

بيْنا ترَى العالَمَ فى جهادِ ... إذْ كلهم على الزمان العادى

و" شوقى " يؤكد هذه الفطرة التى جبلت عليها المخلوقات فى قصة " الكلب والقطة والفأر " [٢٤] التى تحكى قصة فأر رأى الكلب متربصا بالقط فشاغل الأول حتى فر الأخير :

فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفُرصه ... وقال أكفِى القِطَّ هذِى الغَصَّةْ

لعلّه يَكْتُبُ بالأمانِ ... لى ولأصحابى من الجيران

وعلى الرغم من هذا الصنيع الذى يحمّل القط جميلا تجاه الفأر فإنه لم ينس طبيعته وعاد إلى فطرته بمجرد استجماع قوته :

فقال : حقًّا هذه كرامَه ... غنيمةٌ وقبلَها سَلامه

يَكفيك فخراً يا كريم الشّيمَه ... أنك فأرُ الخطْبِ والوليمه

وانقَضَّ فى الحالِ على الضّعيفِ ... يأكلُه بالمِلحِ والرغيف

فقلت فى المقام قوْلاً شاعا ... " مَنْ حفِظَ الأعداءَ يوماً ضاعا "

وهذا عينه هو ما صنعه التيس عندما استعان بالذئب ليحكم بين الغزال والخروف عندما تنازعا فيما بينهما [٢٥] :

وقادَه للموضِع المعروفِ ... فقامَ بين الظّبيِ والخروفِ

وقال : لا أحكمُ حَسْبَ الظاهرِ ... فمزّقَ الظّبْيَيْنِ بالأظافِرِ

وقال للتيْس : انطلقْ لِشأْنِكا ... ما قَتل الخَصْمَيْن غيْرُ ذَقْنكا!

و" شوقى " فى هذا يذكرنا بالحكمة التى وضعها أمام أعيننا " ابن المقفع " ، يشير فيها إلى ضرورة الاحتراز من صحبة الأشرار والثقة بهم لأنها تنتج مالا يحمد عقباه ، وقد استدل بها ابن حمدون فى " التذكرة الحمونية " حيث يقول :

" قال صاحب كليلة ودمنة : صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الندامة، كالريح التي إذا مرت على الطيب حملت طيباً، وإذا مرت على النتن حملت نتناً ، والعاقل لا تبطره منزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله شدة الرياح . قال " عثمان بن أبي العاص ": الناكح مغترس فلينظر امرؤ أين يضع نفسه. وقالت " هند بنت عتبة ": المرأة غل لابد منه للعنق فانظر من تضعه في عنقك.

ومن كلام الحكماء: من ترك ما لا طاقة له به كان أستر لمكتوم أمره وأبقى للآمال فيه. لا تشعر قلبك الغم مما فات فيشغل ذهنك عن الاستعداد لما تأتي به الأيام، وكن بحسن الظن بما عند الله تعالى أوثق منك بما في يديك فإنك تضن بما تملك وذلك على الله يسير، وفي كل حركة وساعة أمر حادث وقدر جار بتبديل الأحوال وتنقل الدول. تجنبوا المنى فإنها تذهب ببهجة ما خولتم، وتستصغرون مواهب الله عندكم وتعقبكم الحسرات على ما أوهمتموه منها أنفسكم، وهي مكيدة من مكايد إبليس للعبد، وختل له عن الشكر، واستدراج إلى استصغار عظيم المواهب " .

وقد فطنت الأرنب إلى ما وقع فيه التيس من خطأ ورفضت الاستعانة ببنت عرس التى عرضت عليها المساعدة فى الولادة فوق سفينة نوح :

... جاءَت عجوزٌ من بَناتِ عِرسِ تقولُ : أفدِى جارَتى بنفسى

أنا التى أرْجَى لِهذِى الغايهْ — لأننى كنتُ قديماً " دَايَهْ"
فقالتِ الأرنبُ : لا يا جارَه — فإن بعدَ الألفةِ الزِّياره
مالى وُثوقٌ ببناتِ عِرْسِ — إنى أريدُ دايةً من جنسى![36]

وإذا تحدث " شوقى " عن فضيلة الإيثار ومد يد العون للآخرين بلا جزاء ولا شكور فإنه أشار سلبيا إلى الأنانية وحب الذات الذى رآه فى ابنته " أمينة " الطفلة الصغيرة وهى تعامل كلبها الصغير[27] ، فعلى الرغم من أنها تحب كلبها لكنها تعامله معاملة قاسية ، فإذا طلبت من أبيها طعاما له :

قالت : غلامى يا أبى جَوْعانُ — وما لهُ كما لنا لِسانُ
فمُرهُمُو يأتُوا بخبزٍ ولبنْ — ويُحضِروا آنِية ذاتَ ثمنْ
فقُمتُ كالعادةِ بالمطلوب — وجئتُها أنظُر من قريب

وإذا جاءها الطعام حتى تطعم كلبها استكثرته عليه :

ثم أرادَت أن تَذوقَ قبلَه
فاستطْعَمَتْ بنْتُ الكِرام أكلَه
هُناكَ ألقَتْ بالصَّغيرِ للوَرا
واندَفعتْ تَبكى بُكاءً مُفْترى
تقول : باب، أنا (دَحَّا) وهُوَ (كُخّ)
معناه : بابا ، لىَ وحْدِى ما طُبِخ
فقلْ لمنْ يَجهَل خَطْبَ الآنِيهْ
قد فُطِرَ الطِّفلُ على الأنانِيَه

وينبه " شوقى " إلى صفة الحقد والحسد فيسوق لنا حكاية " الكلب والببغاء " [28] ، فالببغاء كانت رفيعة القدر لدى مولاها يحبها كل من يلقاها وهذه المكانة العالية التى احتلها الببغاء أرخصت من شأن الكلب مما أشعل قلبه حقدا وغيظا وحسدا :

فجاءَها يومًا على غِرارِ — وقلبُهُ من بُغضِها فى نارِ

وقـــال : يـــا مليكةَ الطُّيورِ ... ويــــا حــياةَ الأُنــسِ والســرورِ
بحسـنِ نُطقِكِ الـذى قـد أصبى ... إلا أَرَيْتِـنِـى اللِّسـانَ العذْبـا
لأنـنى قـد جـزْتُ فـى الـتفكُّر ... لمَّـا سمعـتُ أنـه مـن سُـكَّرا
فأخْرَجَـتْ مـن طيشِـها لسـانها ... فعضَّـهُ بـنابه ، فشـانها
ثـم مضـى مـن فـورِهِ يصيحُ : ... قطعتُه لأنـه فصِـيحُ !
ومـا لها عـندىَ مـن ثـأرٍ يُعَدّ ... غـيرَ الـذى سمَّوْهُ قِدْمًا بالحسدْ!

إن هـذا الكلـب الحـاقد عـلى الببغاء تمتلئ نفسـه حقـدا وغـلا وحسـدا لا يمكـن ستره ، وهـذه قصـة تذكـرنا بمـا استدل بـه " ابـن حمدون " فـى " الـتذكرة الحمدونـية " ـ أيضـا ـ ممـا كتـبه " ابـن المقفـع " عـن الحقد والحسد وأسباب ذلك ومظاهره فيقول :

" قـال صـاحب كلـيلة ودمـنة : مَـثَل الحقـد في القلـب مـا لم يجـد محـركاً مَـثَل الجمـر المكـنون، ولـيس يـنفك الحقـد يـتطلع إلى العلـل كمـا تبـتغي الـنار الحطـب، فـإذا وجـد شـيئاً استعر ثـم لا يطفـئه مـال ولا كـلام ولا تضـرع ولا مناصـفة ولا شـيء غـير تلـف تلـك الأنفـس. وقـال: لا يـزيدك لطـف الحقـود بـك، ولـينه لـك، وتكرمـته إيـاك إلا وحشـة وسـوء ظن، وإنك لا تجـد لـلحقود الموتـور أمانـاً هـو أوثـق مـن الذعـر، ولا أحـرز مـن الـبعد والاحتراس منه ".

ومـن الخصـال الـتى رفضـها " شـوقى " وناقشـها فـى حكاياتـه الغـرور وإعطـاء الـذات أكـثر مـن حجمهـا واحـتقار المحـيطين كمـا فـى حكايـة " دودة القـز والـدودة الوضـاءة " [٢٩] حيـث طلبـت دودة القـز صحبة الدودة الوضاءة اغترت ورفضت وتعالت عليها :

قالـــت : عَرَضْـتِ عليـنا ... وجهًــا بغـيرِ حيـاءِ !
مَـن أنـتِ حـتى تُدانـى ... ذاتَ السَّـنا والسَّـناءِ ؟!
أنـا الـبديعُ جمـالى ... أنـا الرفـيعُ عَلائـى
أيـن الكواكـبُ مـنى ؟! ... بـل أيـن بـدرُ السـماءِ ؟!

فامضى ؛ فلا وُدّ عندى   إذ لستِ من أكفائى!

لكنه لا يترك الأمر يمر هكذا بدون مناقشة منطقية وسوق للأدلة :

وعند ذلك مرّتْ   حسناءُ معْ حسناءِ
تقولُ : اللهِ ثوبى   فى حُسنِه والبَقاءِ!
كم عندنا من أيادٍ   للدودةِ الغراءِ!
ثم انثنتْ فأتتْ ذى   تقولُ للحمْقاءِ :
هل عندكِ الآنَ شكٌّ   فى رُتبتى القَعساءِ؟!
وقد رأيتِ صنيعى   وقد سمعتِ ثنائى؟!

ومن القيم التى أراد " شوقى " أن يبثها فى ثنايا حكاياته أن الحمول الحقيقية التى تثقل كاهل الإنسان هى الحمول التى ينوء بها الصدر ، وليست هى تلك التى ترهق الأبدان لثقل وزنها ، ويكون هذا الألم النفسى ـ فى أغلب الأحيان ـ عندما يتحمل الإنسان إثما ؛ كما تصور " شوقى " أنه حدث مع هدهد سليمان [٣٠] عندما جاءه يشتكى بذلة على بابه على أثر حبة بر أكلها فأصابته بغلة :

لا مِياهُ النّيلِ تُرْويـ   ـها ، ولا أمواهُ دِجْله
وإذا دامَت قليلاً   قتلتْنى شرُّ قِتْلَه

وإذا بسليمان الحكيم يشخص داء الهدهد بقوله :

قد جَنَى الهدهُدُ ذنْبا   وأتى فى اللؤم فَعْلَه
تِلك نارُ الإثمِ فى الصّدْ   رِ ، وذى الشكوى تُعِلّه
ما أرَى الحَبّةَ إلا   سُرِقت من بيتِ نمله
إن للظالم صَدْرا   يشتكى من غير عِلّه!

وقد صرح شوقى بثقل هذه الأحمال النفسية عند أصحابها على لسان " الثعلب " [٣١] الذى وعى هذه الحقيقة وقدم ـ من خلالها ـ النصيحة للجمل الذى مل العمل واستثقل الأحمال عند صاحبه الذى

يحمله فوق ما يطيق . لكن حكمة الثعلب كانت بادية بوضوح فى قوله :

فأنتَ خيرٌ من أخيكَ حالا	لأننى أتعَبُ منك بالا
كأن قُدّامِىَ ألفَ ديكِ	تسألنى عن دمها المسفوكِ
كأنّ خَلفى ألفَ ألفَ أرنبِ	إذا نهضتُ جاذبتنى ذَنَبى
ورُبَّ أمٍّ جئتُ فى مُناخِها	فجعتُها بالفتكِ فى أفراخِها
يبعَثُنى مِنَ مَرْقدى بُكاها	وأفتحُ العيْن على شكواها
وقد عرفتَ خافىَ الأحمالِ	فاصبرْ وقلْ لأمّةِ الجمالِ :
لَيس بحملٍ ما يَمَلُّ الظهرُ	ما الحِمْلُ إلا ما يُعانى الصَّدْرُ

و " شوقى " يعنى كل العناية بغريزة الأمومة فى حكاياته التى إذا صلحت صلحت الأمة وإذا فسدت فليس وراءها إلا الفساد فيصور لنا فى " ضيافة قطة " (٣٢) حرص الأم على أطفالها حديثى الولادة لكنه يتفهم ذلك فيطعمها ويدفئها ويحنو عليها :

لم أجزها بشِرّةٍ	عن غضبٍ وشِرّة
ولا غَبِيتُ ضَعفَها	ولا نَسِيتُ قُدْرَتى
ولا رأيتُ غيرَ أمٍّ	بالبنينَ بَرّة

إن ما صنعه " شوقى " مع هذه القطة ـ الأم ـ ليس مستغربا من نفسه الحانية وحسه المرهف ، فكان فى " شوقى" رقة وسماحة ووداعة، وكل هذا منعه من أن يحضر ليالى العزاء بعد وفاة أخته ، وكان يدفعه إلى الهروب من البيت عندما يمرض أحد أبنائه ويظل بالإسكندرية حتى يزول الخطر، وعندما توفيت والدته رثاها ولم ينشر مرثيته حتى مات ، ولم يذهب إلى حلوان بعد موت أمه فور مقدمه من المنفى (٣٣) .

وغريزة الأمومة وحب الوليد موروث فى قلب كل أم وكلهن يرين أولادهن أفضل الأولاد وأرقى الأجناس سواء أكان غزالا أم حمارا

ويبدو هذا في حكاية " الغزالة والأتان "[٣٤] وحيث تقبل كل أم ولدها تحنو عليه وتعتني به :

غزالةٌ مرّتْ على أتانِ ... تُقبّلُ الفطيمَ في الأسنانِ
وكان خلف الظّبيةِ ابنُها الرّشا ... يودُّها لو حمَلتْه في الحَشا
ففعلتْ بسيّد الصّغارِ ... فِعْلَ الأتانِ بابنِها الحمارِ
فأسرع الحمارُ نحوَ أمِّهِ ... وجاءَها والضّحكُ مِلْءُ فمِهِ
يصيحُ : يا أمّاه ، ماذا قد دَها ... حتى الغزالةُ استَخفّتِ ابنَها ؟!

وقد بلغ " شوقي " الغاية في هذه المسألة في حكاية " الغصن والخنفساء " [٣٥] حيث يفخر الغصن بجماله وحسن قده :

فأقبلتْ " خُنْفُسَةٌ " تنثني ... ونجلُها يمشي يجنبِ الكبِدْ
تقول : يا زَيْنَ رياضِ البَها ... إنّ الذي تطلُبُهُ قد وُجِد
فانظرْ لقَدِّ ابني ، ولا تفتخر ... ما دام في العالم أمٌّ تَلِد!

لذلك كان " شوقي " يعنى بحسن تربية الصغار فينصح الأمهات بعدم الاستعجال في تعليم أبنائهن الطيران فيحكي قصة "القبرة وابنها " [٣٦] الذي تعلمه الطيران وتسدى إليه بعض النصائح :

لكنّهُ قد خالف الإشارهْ ... لمّا أراد يُظهرُ الشّطاره
وطار في الفضاءِ حتى ارتفعا ... فخانه جَناحُه فوقعا
فانكَسَرَتْ في الحالِ ركبتاهُ ... ولم يَنَلْ منَ العُلا سُناهُ
ولو تأنّى نالَ ما تمنّى ... وعاشَ طولَ عُمرِهِ مُهَنّا
لكلّ شيءٍ في الحياة وقتُهُ ... وغايةُ المسْتعْجلين فوْتُه!

ويقسو " شوقي " على واحدة من أمهات الغربان التي يرميها بأنها قتلت ولدها بعكس الأمهات الأخريات اللائي يذدن عن أبنائهن :

مِنْ أمِّهِ لقي الصغِـ ... ـيرُ منَ البَليّةِ ما لقي
جَلبَتْ عليهِ ما تَذو ... دُ الأمهاتُ وتَتّقي
فُتِنتْ بهِ ، فتَوَهَّمَتْ ... فيه قُوىً لم تخلقِ
قالت : كبِرْتَ ، فثِبْ كما ... وثبَ الكِبارُ ، وحَلّقِ
ورَمَتْ بهِ في الجوِّ ، لم ... تحرِصْ ، ولم تَستَوثِق

فَهَـوى ، فمُـزّق فـى فِـنا ... ءِ الـدارِ شـرَّ مُمـزَّق

...

أطلقـتِـه ، ولـو امتحـنـ ... ـتِ جَـناحَـه لـم تُطلِقـى
وكـمـا تَـرَفّـقَ والِـدًا ... كِ علـيـكِ لـم تَـترفَّـقى!

إن مـا صنعته هـذه الأم يدخـل فـى بـاب الحمـق الـذى قـتل ولدهـا ومـن هـذا الباب مـن لا يعـرف قـدر نفسـه مغـترا بهـا فيلاقى المهـالك ؛ من ذلـك مـا كـان مـن أمـر البغل فـى حكايـة " البغل والجـواد " [٣٧] حيـث لم يعـرف لنفسـه قدرهـا وراح يكـذب ويفـترى زاعمـا أنـه كـان يـرقص بـالأمس تحت صاحبه خيرا من جواد مدرب فلم ينل غير السخرية من الجواد :

فضَـحِكَ الحِصـانُ مِـن مقالِـهِ ... وقـال بـالمعهودِ مِـن دلالِـهِ :
لم أرَ رقـصَ الـبغلِ تحتَ الغـازى ... لكـن سمعـتُ نقـرَةَ المِهمـازِ!

ومـن قبـيل هـذا الحمـق أيضـا مـا صنعه الحمـار حـين طـرح مـولاه أرضا فى موكب مهيب ولا يدرى أنه وقع منه بذلك أمر جلل :

أتـى ثعالَـةَ يومـًا ... مـن الضَّـواحى حِمـارُ
وقـال إن كنـتَ جـارى ... حقـاً ونعـمَ الجـار
قـل لـى فـإنـى كئيـبٌ ... مُفكـرٌ مُحـتـار
فـى موكِـبِ الأمـسِ لمَّـا ... سِـرنا وسـارَ الكِـبار ...
... طرَحْـتُ مـولاى أرضـاً ... فهـل بذلـك عـار
وهـل أتيـتُ عظيمـاً! ... فقـال : لا ياحِمـار![٣٨]

والأرنـب الأحمـق أيضـا يقـتله حمقـه [٣٩] حيـث رأى الديـك يسـب الثعلـب وهـو لا يسـتطيع أن يصـنع لـه شيئا فنسـى أن الديـك (يغلـب بالمكان لا الإمكان) تجرأ على الثعلب فراح يلعنه مثل الديك :

فعصَـفَ الثعلـبُ بالضـعيفِ ... عَصْـفَ أخيه الذّيـب بالخـروف
وقـال : لى فـى دَمِـكَ المسـفوكِ ... تسليةٌ عـن خيْبتى فـى الديـكِ !
فـالتفـتَ الديـكُ إلـى الذبـيح ... وقـال قـولَ عـارفٍ فصـيح
مـا كلّـنا يَـنفعُهُ لسـانُهُ ... فـى الـناسِ مَـن يُـنطقُه مَكانُهُ !

- ٤ -

هموم الوطن



ومما شهر به " شوقى " قضية الوطن التى لخصها على لسان عصفورتين [٤٠] وقد حاول الريح الذى سرى من ناحية اليمن حملهما إلى هناك على أن يتركا وطنهما فى الحجاز لقسوة الحياة هنا وطيب العيش هناك :

قالتْ له إحداهما	والطيرُ منهنّ الفطِن
يا ريحُ أنتَ ابنُ السبيـ	ـل ، ما عرَفتَ ما السكن
هَبْ جنةَ الخُلدِ اليمن	لا شيءَ يَعدِلُ الوطن!

لكنه كان مؤرقا بما أصاب الوطن من احتلال الغرباء له وفساد أصاب أهله ، والحكام من أبنائه يتعاونون مع المستعمرين ليغتالوا الحريات ويقضوا على الشعب المصرى أن يعيش فى أغلال العبودية دون طموح إلى الحرية لكن هذا الصراع بين الأمل فى الحرية واستعذاب الخنوع والخضوع ظل قائما فصوره " شوقى " فى حكاياته ؛ من ذلك قصة " الحمار والجمل " [٤١] حيث أصابهما ملل من العبودية وطمحا نحو الحرية فانطلقا إلى الصحراء يبحثان هناك عن الحرية :

وبعدَ ليلةٍ من المسيرِ	التفتَ الحِمارُ للبعيرِ
وقال : كربٌ يا أخى عظيمٌ	فقِفْ ؛ فمشيي كلُّهُ عقيمُ !
فقال : سَلْ فِداكَ أمّى وأبى	عسى تنالُ بى جليلَ المطلبِ
لابدّ لى من عَوْدة للبَلدِ	لأننى تركتُ فيه مِقوَدى!
فقال سر والزَمْ أخاكَ الوتِدا	فإنما خُلِقتَ كى تُقيَّدا

فإذا صور " شوقى " فى هذه الحكاية هذا الصراع بين طلب الحرية والرضا بالعبودية فى نظر الجمل والحمار فإن هذه نفسها هى الحال التى كان عليها الشعب المصرى فى ذلك الوقت ، وقد أكد " شوقى " هذه الثنائية فى حكاية " أمة الأرانب والفيل " [٤٢] فعندما اعتدى الفيل على وطن الأرانب :

وكان فيهم أرنبٌ لبيبُ — أذهبَ جُلَّ صُوفِه التَّجريبُ
نادى بهم : يا مَعشرَ الأرانبِ — مِن عالِمٍ ، وشاعرٍ ، وكاتبِ
اتَّحِدوا ضِدَّ العَدُوِّ الجافى — فالاتحادُ قوّةُ الضِّعافِ

راحت الأرانب تتشاور فيما بينها عما يجب فعله تجاه عدوان الفيل ، فبعد انتخاب ثلاثة من العاقلين راح يدلى كل منهم بدلوه ساعيا إلى حل المشكلة ومواجهة الأزمة ، لكنهم انقسموا فيما بينهم :

فنهض الأوّلُ للخِطابِ — فقال : إنّ الرأى ذا الصوابِ
أن تُترَكَ الأرضُ لذى الخُرطومِ — كى نستريحَ من أذى الغَشومِ
فصاحَتِ الأرانبُ الغوالى : — هذا أضَرُّ من أبى الأهوالِ
ووثبَ الثانى فقال إنّى — أعهَدُ فى الثعلبِ شيخَ الفنِّ
فلندْعُه يُمِدّنا بحِكمتِهْ — ويأخذ اثنيْنِ جزاءَ خدمتِه
فقيل : لا يا صاحب السُّموِّ — لا يُدفعُ العدوُّ بالعدوِّ
وانتَدَبَ الثالثُ للكلامِ — فقال : يا معاشِرَ الأقوامِ
اجتمِعوا ؛ فالاجتماع قوّة — ثم احفِروا على الطريق هُوَّة
يهوى إليها الفيلُ فى مرورِه — فنستريحُ الدهرَ من شرورِه
ثم يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ — قد أكَلَ الأرنبُ عقلَ الفيلِ
فاستَصْوَبوا مقالهُ ، واستَحْسَنوا — وعمِلوا من فَوْرِهم ، فأحسَنوا
وهلَكَ الفيلُ الرفيعُ الشّانِ — فأمستِ الأمّةُ فى أمانِ
وأقبلَتْ لِصاحِبِ التدبيرِ — ساعيَةً بالتاجِ والسريرِ
فقال : مهلاً يا بَنِى الأوطانِ — إنّ محلّى لَلمَحَلُّ الثانى
فصاحبُ الصّوتِ القوىُّ الغالبِ — مَنْ قد دعا : يا مَعشَرَ الأرانبِ

فـ " شوقى " فى هذه الحكاية يناقش مجموعة من القضايا التى تمس الوطن عن قرب مشيرا إلى أنه لابد من الاتحاد فى البداية لمواجهة أى خطر واقع على الوطن ، ثم لابد من ترشيح الحكماء العاقلين الذين يرون مصلحة الوطن فوق مصلحتهم الشخصية ، لكن الكلمة العليا لابد أن تكون للشعب ؛ فهو الذى يرشح هؤلاء المنتخبين انتخابا ديموقراطيا

سليما ، وهو الذى يوافق على آرائهم أو يرفض ما يقترحون ، عند التنفيذ لابد أن يكون بصورة جماعية بأيدى الوطنيين دون التعاون مع الأعداء .

إن ما صنعه الفيل مع أمة الأرانب يمثل اتجاها استعماريا سافرا غشوما ، أما الديك الهندى فكان أكثر دهاء وأدرى بأمور السياسة فى تصرفه مع الدجاج البلدى عندما أراد أن يحتل بيتهم [٤٣] وهو يشبه فى هذا الاستعمار الإنجليزى الذى كان يحتل مصر آنذاك ، حيث كان يرفع شعار المهادنة وسياسة الوفاق ، ويدعى أن مصر ستحصل على استقلالها بعد انتهاء الغرض من قدومهم وهو استتباب الأمن وانتهاء الخطر على مصر .

فالديك الهندى (المستعمر) جاء إلى الدجاج البلدى (المواطن) بوصفه ضيفا ، وهو يعلم جيدا مدى الجود والكرم الذى يتسم به هذا الدجاج البلدى :

يقولُ : حيَّا اللهُ ذى الوُجُوها	ولا أراها أبداً مكروها
أتيتُكم أنشُرُ فيكم فضلى	يوماً ، وأقضى بَينكم بالعدْلِ
وكلُّ ما عِندكُمْ حرامُ	علىَّ ، إلا الماءُ ، والمنامُ
فعاودَ الدَّجاجَ داءُ الطَّيْشِ	وفتحت لِلعلجِ بابَ العُشِّ

وبعدما فتحوا له البيت وأقام فيه بدأوا يستشعرون الخطر فى أثناء نومهم ، فهم لم يحاذروا من التعامل مع الأجنبى وهذا ما قصد إليه " شوقى " من هذه الحكاية ، حتى :

صاحَ بها صاحبُها الفصيح	يقولُ : دامَ منزلى المَليحُ!
فانتبهتْ من نومِها المَشئوم	مذعورَةً من صيحةِ الغَشوم
تقول : ما تِلكَ الشروطَ بيننا	غَدَرْتنا واللهِ غدراً بيِّنا !
فضَحِكَ الهِنْدِىُّ حتى استلقى	وقال : ما هذا العَمَى يا حَمْقى!

متـى ملكــتُمْ ألسُــنَ الأربــابِ؟	قــد كــان هـذا قبل فتحِ البابِ!

هناك فرق كبير بين المحتل قبل مقدمه وبعد تمكنه واستقراره ، وهذا ما يريد " شوقى " أن يحذر منه المصريين، ولهجة الديك فى تظاهره بالضعف ، وزعمه الرغبة فى الخير، وتوكيده أن إقامته موقوتة تتفق تماما مع وعود الإنجليز لذلك العهد ولهجتهم مع المصريين .

" ثم يحدث فى الحكاية ما يشبه " التحول " فى المسرحية ، حين يفتح الدجاج الباب لهذا " الهندى " ، ولكن " شوقى " يطور الحالة النفسية فى بطء لكل من الفريقين ، فتبدو المخاطر أولا هواجس فى أذهان الدجاج ، قبل أن تصبح حقائق مروعة ، على حين يغير الهندى من مسلكه قليلا قليلا ، وهو رضى النفس واثق من عاقبة مسلكه مع هؤلاء الأغرار . ثم يفاجأ الغافلين بالكشف عن حقيقة قصده وهم مستغرقون فى نوم الغفلة ليستيقظوا منه بعد فوات الأوان " [٤٤]

وتعد قصيدة " بين الحجاب والسفور "[٤٥] من أهم ما كتب " شوقى " فى هذا الباب مع أن عنوانها الذى نشرت به فى الشوقيات لم يكن معبرا عن موضوعها الحقيقى خصو ـا أن هذا الطائر السجين الذى ذكره " شوقى " فى هذه القصيدة كان يرمز به إلى " إبراهيم ناصف الوردانى " وهو فى محبسه بعد اغتياله " بطرس غالى " رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وكان ذلك فى العشرين من فبراير ١٩١٠م ردا على معتقدات " بطرس غالى " السياسية وتصرفاته تجاه المستعمر ، إذ كان يرى من الحكمة مصانعة هؤلاء المحتلين وتنفيذ السياسة المرسومة من قبلهم وما استتبع ذلك من مصادرة للحريات فكتب " شوقى " هذه القصيدة بعد تنفيذ حكم الإعدام فى الوردانى :

صــدّاحُ ، يـــا ملـــكَ الكَـــنــا	رِ ، ويـــا أمـــيـرَ البُلــبــلِ
قــد فــزتُ مــنك (بمعـــبد)	ورُزقــتُ قــربَ (الموصــلى)

...

يـا ليـت شـعرىَ يـا أسـيـ	**ـرُ، شَـجٍ فـؤادُك، أم خَـلى؟**
وحلـيفُ سـهدٍ، أم تـنـا	**مُ اللـيـلَ حـتى يَـنجلـى؟**
بالـرغم مـنى مـا تُعـا	**لـجُ فـى الـنحاس المقفَـل**

...

مـا كنـتُ يـا (صـدّاحُ) عـنـ	**ـدكَ بالـكـريـم المُفضـل**
شـهْدُ الحـيـاةِ مـوبـةٌ	**بالـرّق؛ مـثلُ الحـنظـل**
والقـيـدُ لـو كـان الجمـا	**نَ مـنظمـا لـم يُحـمَـل**
يـا طـيرُ، لـولا أن يقـو	**لـوا: جُـنَّ؛ قلـتُ: تعقَّـل**

ومما شغل " شوقى " به نفسه من قضايا الوطن عبث اللورد كرومر وقضايا الوطن وظلمه لأهله ، فـ " شوقى " يتهكم عليه ساخرا من شغفه بصغار الحمام وهو فاقد الثقة به ويظن أنه يربيها لتصبح جوارح تنهش لحوم الشعب :

يـا ليـت شـعرى والأفهـام حائـرة	**مـا غـية اللـورد فـى تلـك الزغالـيل**
إنـى لأخشـى إذا ربـى خوافـيها	**أن تستحيل إلى طيـر أبابيـل[٤٦]**

ثم يذكر اللورد بما جرى فى دنشواى ويحذره من أن أهل مصر ليسوا بالسهولة التى يتصورها :

أيـا لـورد فـى طـول البـلاد وعرضـها	**زغالـيل مـن حـر الفـراق تطـير**
فكـلهـا إذا حطـت لديـك بلـنـدن	**فأمـثالهـا فـى دنشـواى كثـيـر**
ولكـن هـذى هضـمها فـيه راحـة	**وتلـك لعمـرى هضـمهن عسـير[٤٧]**

و" شوقى " يعنى بالحكام عنايته بالشعب ، بل يعنى ببطانة هؤلاء الحكام الذين يسدون إليهم النصائح ؛ صائغا حكمة " ابن المقفع " فى فلسفة التعامل من قبل الملوك تجاه حاشيتهم والانتصاح بنصائحهم والثقة فى نوايا المخلصين منهم، وقد استعان " ابن حمدون " فى التذكرة الحمدونية بحكمة " ابن المقفع " تلك فقال :

" وقال صاحب كليلة ودمنة: خير الأعوان والأخدام أشدهم مبالغة في النصيحة وخير الأعمال أجلها عاقبة، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار، وخير الأصدقاء من لا ينافق، وخير الأخلاق أعونها على الورع، وأفضل السلطان ما لم يخالطه بطر، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا وأقلهم نظراً في العواقب.

وقال: من بلغ جسيماً فلم يبطر ؟ ومن اتبع الهوى فلم يعطب ؟ ومن جاور النساء فلم يفتن ؟ ومن صحب السلطان فلم يعنت ؟ ومن طلب إلى اللئام فلم يهن ؟ ومن واصل الأشرار فسلم ؟ ".

و" شوقي "في حكاية " ملك الغربان وندور الخادم"[٤٨] يصور هذا الخادم الأمين الذى ينصح مليكه محذرا إياه من مقدم العدو ، إذ رأى " سوسة " تحوم حول النخلة التى يستقر فوقها عرش الغراب - الملك - لكنه لم يعبأ بما قاله الخادم ، فأصابه الغرور :

ضَحكَ السُّلطانُ منى من هذا المَقال ... ثم أدنى خادمَ الخيرِ! وقال :
أنا رَبُّ الشوكةِ الضافى الجَناح ... أنا ذو المنقارِ، غَلابُ الرياح
" أنا لا أنظرُ فى هَذى الأمور" ... أنا لا أبصر تحتى يا نُدور!

ومرت السنون وهوت النخلة بفعل الرياح على أثر صنيع السوسة القديم :

فَدهَا السُّلطانَ ذا الخَطْبُ المَهول ... ودعا خادمَهُ الغالى يقول:
يا نُدورَ الخير، أسعِفْ بالصياح ... ما تَرى ما فعلَتْ فينا الرياح؟
قال : يا مولاى، لا تَسأل نُدور ... " أنا لا أنظرُ فى هذِى الأمور "!

إن هذه النتيجة التى آل إليها عرش الغراب نتيجة طبيعية لاستئثار الملك بالرأى وعدم أخذ المشورة والإفادة من نصح الناصح الأمين الخبير بأمور لم يعرفها الملك ، كما أن النتيجة نفسها تقع - كذلك -

فـى حـال الاستعانة بحاشـية غـير أهـل لهـذا العمـل ، وهـذا عيـنه مـا أشار إلـيه ابـن المقفـع ونقلـه "ابـن حمـدون" فـى " الـتذكرة الحمدونـية " حيـث يقول :

" قـال صـاحب كلـيلة ودمـنة : رأس الحـزم لـلملك معرفـته بأصحابه وإنـزالهم منازلهم، واتهـام بعضـهم عـلى بعـض، فإنـه إن وجـد بعضـهم إلى إهـلاك بعـض سـبيلاً. أو إلى تهجـين بـلاء المـبلين. وإحسـان المحسـنين. والتغطـية عـلى إسـاءة المسـيئين. سـارعوا إلى ذلـك. واسـتحالوا محاسـن أمـور المملكـة، وهجـنوا مخـارج رأيـه. ولم يـبرح مـنهم حاسـد قـد أفسـد ناصـحاً. وكـاذب قـد اتهـم أميـناً. ومحـتال قـد أعطـب بريـئاً. ولـيس ينـبغي لـلملك أن يفسـد أهـل الـثقة في نفسـه بغـير أمـر يعـرفه، بل ينبغي في فضـل حـلمه وبسـط عـلمه الحـيطة عـلى رأيـه فـيهم، والمحامـاة عـلى حرمـتهم وذمـامهم، وأن لا يسـرع إلى إفسـادهم ولا يغـتفر مـع ذلـك زلـة زلهـا أحـد مـنهم، ولم يـزل جهـال الـناس يحسـدون عـلماءهم، وجبـناؤهم شجعانهم، ولئامهم كرماءهم، وفجارهم أبرارهم، وشرارهم خيارهم ".

وهـذا عيـنه هـو مـا صـنعه الأسـد حـين جعـل الحمـار وزيـرا للمكـه بـدلا مـن الفـيل الحكـيم [٤٩] عـلى الـرغم مـن اعـتراض مـن حولـه ، ولمـا لم يستمع إلى النصح مر شهر واحد على تلك الوزارة فوجد ملكه ينهار :

لم يَشــعُرِ اللَّيــثُ إلا	ومُلكُــهُ فــى دَمــار
القــردُ عــندَ الــيمين	والكلــبُ عــند اليَســار
والقِــطُّ بــين يديــه	يَــلهو بعظمَــةِ فــار!
فقــالَ : مَــن فــى جُــدودى	مثــلى عديــمُ الوقــار؟!
أيــنَ اقــتِدارى وبَطشــى	وهَيْبــتى واعتــبارى ؟!
فجــاءَهُ القــردُ ســرًّا	وقــال بعــدَ اعــتذار :
يــا عــاليَ الجــاه فيــنا	كــن عــاليَ الأنظــار

هكذا نقل " شوقي " نبض الوطن وساكنيه ، بل إحساسه الخاص تجاه الوطن وقضاياه ، فصارت هذه الحكايات متنفسا لـ " شوقي " عما تعرض له من كيد الناس ، وعما أصاب مصر من ظلم وفساد من قِبل المستعمرين والحكام على السواء .

- ٥ -

صوغ الحكاية والحكمة



كـان " شـوقى " حريصـا كـل الحـرص فـى حكاياتـه عـلى لسـان الحـيوان عـلى إدخالـنا هـذا العـالم بـل العـيش فـيه جنـبا إلى جنـب مـع سـاكنيه يتعلم مـنهم الكـبار والصـغار ويفـيدون مـن الحكمـة الـتى تتخلل هذه الحكايـات ؛ وطلـع عليـنا بقصـائد وصـفية يـبرز فـيها هـذا العـالم بصـورة وصـفية مـن خارجـه نـما كـان سـائدا فـى أغلـب الشـعر العـربى المـوروث ، كمـا يطالعـنا مـن هـذه الحكايـات مـا يـأتى فـى شـكل حكايـة معـتمدة عـلى القـص والحكـى يسـودها حـوار بـين شخصـيات الحكايـة سـواء أكانـت هـذه الشخصيات من الحيوانات أم الطيور أم كانت من بنى الإنسان.

وتجـدر الإشـارة هـنا إلى أن القسـم الحكـائى كـان هـو الأغلـب فـى شـعر " شـوقى " عـلى لسـان الحـيوان وعـلما أن البحـث يحـرص عـلى إحصـاء جمـيع شـعر " شـوقى " فـى الحـيوان سـواء المنشـور منه فـى ديوانه (الشـوقيات) والمنشـور كذلـك فـى (الشـوقيات المجهولـة) الـتى جمعهـا " محمد صبرى السربونى" [٥٠]

إن هـذا الأسـلوب القصصـى الـذى اعـتمده " شـوقى " فـى حكاياتـه يعـد إسـهاما كـبيرا مـنه فـى مجـال فـن القصـة الشـعرية لا يمكـن إنكـاره " بـل ظـل عـلما لم يجـاره أحـد حـتى الـيوم فـى الحكايـة عـلى لسان الحيوان وقـد حقـق داخـلها وحـدة القصـيدة العضـوية ، واسـتخدم الحـوار ، وتبسـيط اللغـة حـتى تناسـب كـثيرا مـن مسـتويات التعـبير " [٥١] والجـدول الآتـى يثبت ذلك :

عدد القصائد فى الشوقيات	٦٣ قصيدة
عدد أبياتها	٩٥٠ بيت
عدد القصائد فى الشوقيات المجهولة	١١ قصيدة
عدد أبياتها	١١٨ بيت

إجمالى عدد القصائد فى الديوانين	٧٤ قصيدة
إجمالى عدد الأبيات فى الديوانين	١٠٦٨ بيت
عدد القصائد الوصفية	١٧ قصيدة
عدد أبياتها	٢٦٩ بيت
عدد القصائد الحكائية	٥٧ قصيدة
عدد أبياتها	٧٩٩ بيت

إذا كان هذا العدد الكبير يمثل مجموع حكايات الحيوان عند " شوقى " فإنه ليس من المستغرب أن يتخللها مجموعة كبيرة من الحيوانات والطيور والكائنات الأخرى يذكرها " شوقى " بأسمائها وصفاتها وحالاتها المختلفة فتمثل المفردات الأساسية التى تدور حولها الحكايات ليصل بعد ذلك إلى مراميه ومقاصده والجدول الآتى يثبت ذلك من الناحية الكمية :

الحيوانات	٢٨٦
الطيور	٨٠
كائنات أخرى	٥٣
إجمالى عددهم	٤١٩

ويلاحظ كذلك أن اختيار " حكايات الحيوان فى شعر شوقى " عنوانا لهذا البحث يقويه شعر " شوقى " نفسه من حيث أساليب الصياغة فيه ؛ فباختيار ألفاظ هذه الحكايات نجد " شوقى " ممسكا بأدواته جيدا ومدركا أنه يصوغ (حكايات) يقدمها للأطفال أولا ؛ لهذا نجد عددا من الألفاظ يشيع فى هذا الجنس من الشعر تشير كلها إلى الحكى والقص والحوار المتبادل بين شخصيات الحكاية .

وشيوع هذه الألفاظ لا يقف عند حد الشعر الحكائي عنده، بل يتعداه إلى القصائد الوصفية حيث تبدو هذه الحكايات في النهاية كأنها قصة قصيرة أو بمعنى أدق ما يسميه العامة "حدوتة" التي تشيع فيها ألفاظ من قبيل (يحكي - كان - قال - فقال مما يدل على الحوار) والجدول الآتي يثبت هذا الشيوع وهذا القصد من " شوقي " :

قال وحقلها الدلالي	٣١٦
كان وحقلها الدلالي	٦٨
يحكي وما يجاوره في حقله الدلالي	٦١
المجموع العام لهذه الكلمات	٤٤٥

لم يقف الأمر بـ " شوقي " عند حد الألفاظ لكن طبيعة الصياغة نفسها تثبت هذا ؛ وإذا أراد أن يصور ما حدث بين " الصياد والعصفورة " [٥٢] بدأها بقوله :

حكايةُ الصَّيَّادِ والعُصفورة صارتْ لبعضِ الزاهدين صورة

ما هَزَءُوا فيها بمستحِقّ ولا أرادوا أولياءَ الحقّ

ثم يبدأ في قص ما جرى من هذه الحكاية (الحدوته) فيما (كان) فيما مضى من زمان يؤيد هذا شيوع الفعل الماضي في الأبيات وخصوصا الفعل قال الذي ينقل الحوار بين " الصياد والعصفورة " وقد تكرر في هذه الأبيات التي يبلغ مجموعها ثمانية عشر بيتا خمس عشرة مرة :

ألقى غُلامٌ شركا يَصطادُ وكلُّ من فوق الثرى صَيَّادُ

فانحدرتْ عُصفورةٌ من الشَّجَرْ لم يَنْهَها النُّهَى ولا الحزمُ زَجَر

قالت : سَلامٌ أيُّها الغُلامُ قال : على العُصفورةِ السلامُ

قالت : صَبِيٌّ مُنْحَنِي القَناةِ ؟! قال : حَنَتْها كثرةُ الصلاةِ

قالت : أراكَ بادِيَ العِظامِ ! قال : بَرَتْها كثرةُ الصيام

قالت:فما يكونُ هذا الصوفُ ؟	قال : لباسُ الزاهدِ الموصوفُ
سَلِى إذا جَهلْتِ عارفيهِ	فابنُ عُبيدٍ والفُضَيْلُ فيه
قالت:فما هذِى العَصا الطويلة؟	قال : لِهاتِيكَ العَصا سَليله
أهُشُّ فى المَرْعَى بها وأتَّكى	ولا أرُدُّ الناسَ عن تبرُّكِ
قالت : أرى فوق التراب حَبَّا	مما اشتهى الطيرُ وما أحَبَّا
قال : تَشَبهْتُ بأهلِ الخيرِ	وقلتُ أقرِى بائساتِ الطَّيْرِ
فإنْ هَدَى الله إليه جائعاً	لم يَكُ قربانى القليلُ ضائعا
قالت : فجُدْ لى يا أخا التنسُّكِ	قال : القُطِيه . بارَكَ اللهُ لكِ
فصَلِيَتْ فى الفخِّ نارَ القارِى	ومَصْرَعُ العصفورِ فى المِنْقار
وهتَفَتْ تقولُ للأغرارِ	مقالةَ العارفِ بالأسرار :
" إياكَ أن تَغتَرَّ بالزُّهّادِ	كم تحتَ ثوبِ الزُّهدِ من صَيادِ!"

و" شوقى " فى هذه الحكاية متأثر بالتراث العربى القديم إذ نقل القصة كما رواها صاحب " العقد الفريد " نظم " شوقى " هذه الحكاية فى قالب تفصيلي مشوق بدأها بمقدمة من عنده مهدت للحكاية، ثم ساق الحكاية بكل تفاصيلها التى ذكرها " ابن عبد ربه"، وأنهاها بخاتمة تضمنت مغزاها وموضع العبر فيها " (٥٣)

يقول " ابن عبد ربه " فى هذه القصة التى رواها فى (العقد الفريد) فى كتاب الجوهرة فى الأمثال تحت عنوان "مثل فى الرياء " عن " وهب بن منبه " قال :

" نصب رجل من بنى إسرائيل فخا فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت : مالى أراك منحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتى انحنيت . قالت: فمالى أراك بادية عظامك ؟ قال ك لكثرة صيامى بدت عظامى . قالت : فمالى أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتى فى الدنيا لبست الصوف . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضى حوائجى . قالت : فما هذه الحبة فى يدك ؟ قال : قربان إن

مـر بـي مسـكين ناولـته إياهـا . قـال : فخذيهـا فدنـت ، فقبضـت عـلى الحـبة ، فـإذا الفـخ فـى عـنقها ، فجعلـت تقـول : قعـى قعـى ، تفسـيره لا غرنى ناسك مراء بعدك أبدا " .

ونسـتطيع أن نتـبين هـذه الطـريقة الحكائـية فـى حكايـة "الـنعجة وأولادهـا " [٥٤] حيـث لا يكـتفى " شـوقى " بالـبداية الحكائـية وإنمـا يوحـى إلـينا أنـه يحكـى لأطفالـنا (الحواديـت) ويذكـرنا بالشـاعر الشـعبى الـذى يقص هذه الأقاصيص بل يغنيها على آلته الموسيقية :

اسمَـعْ نفـائس مـا يأتـيكَ مِـنْ حِكَمـي ... وافهمْـهُ فَهـمَ لبيـبٍ نـاقِدٍ واعِـي
كانـت عـلى زَعمهِـمْ فـيما مَضـى غَـنَمٌ ... بـأرضِ بغـدادَ يَـرعَى جَمْعَهـا راعـي
قـد نـام عـنها فنـامَـتْ غـيْرَ واحـدةٍ ... لم يَدْعُهـا فـى الدَّيـاجِي للكَـرَى داعـي
أمُّ الفَطـيمِ وسـعْـدٍ والفَـتى عَلَـفٍ ... وابـنِ أمِّـهِ ، وأخـيه مُنْـية الـرَّاعى
فبيـنَما هـى تحـتَ اللـيْلِ سـاهرةً ... تُحْيـيهِ مـا بـين أوجـالٍ وأوجـاعِ
بَـدَا لهـا الذِّئـب يَسعَى فى الظلام على ... بُعْدٍ،فصـاحت:ألا قومـوا إلى السـاعى!

و" شـوقى " - كمـا يـبدو - حـريص عـلى اسـتخلاص موعظـة وإيـراد الحكمـة فـى حكايـته ، والأصـل أن تـأتى هـذه الحكمـة فـى نهايـة الأبـيات كمـا كانـت عـند مـن سـبقه فـى هـذا الفـن ولكـن " شوقى " لا يلتزم بهـذا ؛ فـنجده يـورد هـذه الحكمـة المستفادة مـن الحكايـة فـى أول الأبـيات وأحـيانا فـى منتصـفها لكنه ألـزم نفسـه بإيـراد الحكمـة فـى كـل حكاية بأن الحكمـة (روح الخـرافة) كمـا قـال " لافونـتين " الـذى كـان يـأتى بالحكمـة فـى بدايـة الخـرافة ، وممـا جـاءت فـيه الحكمـة فـى بدايـة الحكايـة حكايته عـن " الأسـد والضـفدع " [٥٥] ؛ فقـبل أن يسـرد الحكايـة الـتى تقضـى بـأن الفيل تشفع للضفدع عند الأسد جاء بالحكمة أولا :

إنفـعْ بمـا أُعطيـتَ مـن قـدرَةٍ ... واشـفع لـدى الذنـبِ لَـدَى المجمـعِ
إذ كـيفَ تسـمو للعُـلا يـا فـتًى ... إن أنـتَ لـم تـنفع ولـم تَشـفع ؟
عـندى لهـذا نـبأ صـادقٌ ... يُعجِـبُ أهـلَ الفضـل فـاسمـع وعِ

قـالوا اسـتوى الليـثُ عـلى عرشـهِ　فجـيءَ فـى المجلِـسِ بالضّـفـدَعِ
وقـيل للسُّـلطانِ هــذِى الـتى　بـالأمـسِ آذتْ عـالـىَ المِسْـمَـعِ
تُنَقْـنِقُ الدّهـرَ بــلا عِلّـــةٍ　وتَدّعــى فــى المــاءِ مـا تَدّعِـى
فانظـر - إلـيك الأمـرُ - فـى ذنـبها　ومُــرْ نُعلّـقْهـــا مــن الأربَـعِ
فــنهضَ الفِــيلُ وزيــرُ العُـــلا　وقـــال : يــا ذا الشّــرَفِ الأرفــعِ
لا خـيْـرَ فــى الملــكِ وفــى عِــزِّهِ　إن ضـاقَ جـاهُ الليـثِ بالضّـفدَعِ
فكتــبَ الليــثُ أمانــاً لهـــا　وزاد أنْ جـــاد بمُســـتنْـقَـعِ !

إذا كـان " شـوقى " قـد عـرف فـى شـعره بالفصـاحة والجـزالة وحسـن البلاغة والإيجـاز فـإن هـذا لـيس بعـيدا عـن حكمـه الـتى وردت فى حكاياتـه عـلى لسـان الحـيوان ؛ فحكمـه - فـى معظمهـا - تـأتى جـزلة مختصـرة موجـزة توجـز المعنى الكثير فـى أقـل الألفـاظ بوضـوح وسـهولة من هذا الحكمة فى نهاية حكاية "اليمامة والصياد " [٥٦].

" تقــول قــولَ عـــارف مُحقِّــق　مَلَكْـتُ نفْسِـى لـو مَلَكْـتُ مَنْطِقِى!"

ومثلها الحكمة فى نهاية حكاية " الكلب والحمامة " [٥٧].

هـذا هـو المعروفُ يـا أهـلَ الفِطَـن　الـناسُ بالـناسِ ، ومَـنْ يُعِـن يُعَـنْ !

وكقوله فى نهاية حكاية " النملة والمقطم " [٥٨] :

صـــاح لا تخـــشَ عظـــيمًا　فـ ـالذى فـــى الغيْـــب أعظـــم

وعـلى الـرغم مـن هـذا الإيجـاز الـذى جـرت صـياغة " شـوقى " على نهجـه وقـد تـأتى الحكمـة عـنده فـى مواضـع قـليلة ممـتدة عـلى أكـثر مـن جملـة وأكـثر مـن بيـت مـن هـذا الحكمـة الـتى خـتم بهـا حكايـة " الخفاش ومليكة الفراش " [٥٩] التى امتدت خمسة أبيات :

رُبَّ صـــــديقٍ عــــــبدِ　أبــــيَضُ وجــــهِ الـــــوُدِّ
يَفديـــــــكَ كالرَّئـــــيسِ　بالـــــنَّفْسِ والنفــــــيسِ
وصــــــاحِبٍ كالـــــنُّورِ　فـــى الحُسْـــنِ والظُّهـــورِ
مُعْـــــتكِرِ الفــــؤادِ　مُضَـــيَّعِ الـــــودادِ
حِـــــبالُه أشــــــراكُ　وقُـــــرْبُه هــــــلاكُ ؟

- ٦ -

السخريــة

ومن أهم ما تتسم به هذه الحكايات عند " شوقى " شيوع روح الفكاهة والسخرية ، وهى ليست غريبة على شعر " شوقى " لأنها نابعة عن نفسه بصدق ، إذ كان مجبولا على الفكاهة وخفة الظل والنظرة الساخرة للأشياء ، ولم يكن " شوقى " يطرب لما يطرب له العامة ، لكن إحساساته كانت أرق من الخاصة " ولعل هذا هو السبب فى تلك الضحكات المكتومة التى كان أمير الشعراء يرسلها عفوا ن والذين معه مشدوهون لا يفطنون إلى الباعث عليها إلا بعد إجهاد ، وقد لا يهتدون إلى هذا الباعث " (٦٠)

والأصل فى الفكاهة والسخرية ألا تكون مسفة ، وليس أروع من الدعابة المنطوية على تصوير واضح لجوانب من أخلاق الناس ومواقفهم التى تدعو إلى الضحك " والأصل فى النكتة البارعة أن يطرب لها من قيلت فيه ولا يجد فيها غضاضة ، على هذا الاعتبار يكون أمير الشعراء فى مقدمة ظرفائنا وفى طليعة شعرائنا الفكاهيين ، وكانت الفكاهة - قبله - مقصورة على الأزجال والزجالين " (٦١)

وقد كان " شوقى " بطبعه عفيف اللسان ؛ ويبدو هذا بوضوح فى شعره كله إذ لم يكن شاعرا هجاء وإن أكثر من المدح " فعفة لسان " شوقى " وتنكبه طريق طالما سلكها شعراء كبار وصغار ومتوسطون ، هذا دليل على ذكاء طبعه وفرط حيائه وأيضا - على رجاحة عقله - وأصالة رأيه ، فكم أحدث الشعر من فتنة وأراق من دم وأحرج من جماعة وحرم العالم من نعمة ، وأية نعمة كانت أعظم من شعر المتنبى الذى كانت حياته كلها أقوالا عبقرية آخذا بعضها برقاب بعض ، ولكنه برغم جميع حكمه الاجتماعية وآرائه الفلسفية لم يتنبه إلى ما فى الهجو

من الاستهداف للمقت والتعرض للتهلكة ، فقال من الأقوال الصغار ما يخالف تلك الحكم التى تفرد بها وأسف فى الهجو إسفافا يحار العقل لصدوره من مثله " (٦٢)

فالثابت لدى الدارسين أن هناك بونا شاسعا بين السخرية والفكاهة من جهة والهجاء من جهة أخرى ؛ فالهجاء ينبعث من نفس حاقدة واجدة غاضبة ، أما السخرية فهى صادرة عن نفس متهكمة ناقدة منبسطة (٦٣)

والفكاهة موجودة فى جميع آداب العالم ، لكنها تختلف من مكان لآخر باختلاف طبائع الشعوب الاجتماعية ، وإذا احتوت الفكاهة حكمة صادقة وأحكمت عبارتها " كانت فى الفرد دليل صفاء الذهن ولطافة الحس ، وفى الأدب مظهر الرقى والحيوية وفى الأمة عنوان التحضر ورقة الطبع ، والفكاهة عند ذلك لا تقل مكانة عن أرزن الجد بل ربما بزته ، وكانت مرآة لميول الفرد والمجتمع أصدق تصويرا من مرآة الجد الخالص " (٦٤)

لما كان " شوقى " مجبولا على حب الفكاهة ومالكا نظرة ساخرة وجدناه يطلع علينا بحكايات تعرى من كل شىء إلا من الضحك ؛ فغرضه الوحيد الذى نظمها من أجله كان الفكاهة والضحك، كما فى حكاية " ولى عهد الأسد وخطبة الحمار " (٦٥) حيث رزق الأسد بأول شبل له ، فاجتمعت الحيوانات والطيور جميعا تهنئ الملك بولى العهد :

فنَهضَ الفيلُ المشيرُ السامى	وقال ما يليقُ بالمقام
ثم تلاه الثَّعْلَبُ السفيرُ	يُنشدُ ، حتى قيلَ : ذا جرير
واندفعَ القردُ مديرُ الكاسِ	فقيلَ : أحسنتَ أبا نُواسِ!
وأوْمأ الحمارُ بالعقيرَه	يريدُ أن يُشرِّفَ العشيره

فقال : باسم خالقِ الشعيرِ وباعثِ العصا إلى الحمير !..

فأزعج الصوتُ وليُّ العهدِ فماتَ من رِعْدَتِه فى المهدِ

فحمَلَ القومُ على الحمارِ بجُملةِ الأنيابِ والأظفار

وانتُدبَ الثعلبُ للتأبينِ فقال فى التعريضِ بالسكين :

لا جعَلَ اللهُ له قرارًا عاشَ حِمارًا ومضى حمارا !

ويعد شعر الفكاهة عند " شوقى " ابتكارا شوقيا ، منها مجموعة القصائد التى سميت " محجوبيات " ولم يفطن كثير من الدارسين إليها ولا إلى غيرها من فكاهات " شوقى " التى تأتى فى ثنايا حكاياته على لسان الحيوان أو وصفا له " رغبة منه فى إيجاد أدب للأطفال المصريين ، مثلما جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتمدينة منظومات قريبة التناول ، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم كما صرح بذلك فى تقديمه للشوقيات " [٦٦].

وقد عد " العقاد" هذه الأشعار الفكاهية الساخرة " الباب الوحيد الذى ظهر فيه " شوقى " فى ملامحه الشخصية ، لأنه أرسل نفسه فيه على سجيته ، وانطلق من حكم المظهر والصنعة والقوالب العرفية التى تنطوى فيها ملامح الشخصية وراء المراسم والتقاليد " [٦٧]

نظم " شوقى " مجموعة من القصائد سميت "محجوبيات " نشر بعضها فى ديوانه (الشوقيات) ، وجمع بعضها الآخر " محمد صبرى السربونى " فى (الشوقيات المجهولة) وهى مجموعة من القصائد الساخرة المتهكمة فى الدكتور محجوب ثابت وحصانه الذى كان يسمى " مكسوينى " ودكتور " محجوب ثابت ودود للشاعر ، بينهما مداعبات ومسامرات وفكاهة ، وكان للدكتور حصان يرتاد به شوارع القاهرة أيام الثورة ، وكان أصدقاؤه يسمون الحصان " مكسوينى"

على اسم بطل أيرلندى مشهور انتحر جوعا ، ويكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به."(٦٨)

نظم " شوقى " أبياتا سنة ١٩٢٤م يداعب فيها الدكتور محجوب ويعزى حصانه يقول :

أدُنيا الخيلِ (يا مَكيسى) كدُنيا الناسِ غدّاره؟!
لقد بَدّلك الدهرُ من الإقبالِ إدباره
فصبراً يا فتى الخيلِ فنفسُ الحرِّ صَبّاره
أحَقٌ أنّ (مَحجوباً) سَلا عنك بفَخّاره؟
وباعَ الأبلَقَ الحُرَّ (بأوفرلاند) نَعّاره؟
ولم يَعرِفْ له الفضلَ ولا قدَّرَ آثاره

ولما علم " شوقى " وهو بفرنسا بخبر موت "مكسوينى" بعث بمرثية للدكتور محجوب ، وقد نشرها بالكشكول فى أول أغسطس ١٩٢٤م ، يقول فى بعضها :

يا مكس دنياك عاره والموت كأس مداره
والدهر يوما ويوما والحال طورا وتاره
والعيش زهر ربيع قصير عمر النضاره
إذا بلغن التراقى فكل ربح خساره
يا " مكس " قل لى أحقا قد وسدوك الحجاره
وغيبوك طويلا أشم مثل المناره

لم يكن الدكتور محجوب يعنى بمظهره العام ، كما لم يكن يعنى بنظافة العيادة الخاصة به بوصفه طبيبا ، فتهكم عليه " شوقى " وأشاع أن البراغيث تحيط به فى كل مكان :

بَراغِيثُ مَحجوب لم أنسَها ولم أنسَ ما طَعِمَتْ من دمى
تشقُّ خَراطيمُها جَوْربى وتَنفُذُ فى اللحم والأعظُمِ!
وكنتُ إذا الصَّيفُ راح احتَجمْتُ فجاءَ الخريفُ فلم أحجمِ
تُرَحِّبُ بالضَّيف فوقَ الطريقِ ، فبابِ العيادةِ فالسُّلَّمِ

قــــد انتشَـرَت جـوْقَــةُ جـوْقَــةُ   كمـــا رُشّـــتِ الأرضُ بالسِّمســـم!
وتَـرقصُ رَقـصَ المَواسـى الجِـداءِ   عـلى الجلـدِ ، والعَلَـقِ الأسـحـم

***

بواكـيـرُ تَطلـــعُ قـبل الشّـتــاءِ   وتَـــرفعُ ألــوِيــةَ الموْسِـــــم
إذا مـا " ابـنُ سـينا " رَمـى بلغمـاً   رأيــتَ الـبراغيثَ فـى الـبَلغــم
وتُبصِـرُها حـول " بيـبا " الرئـيس   وفــى شــاربَيْهِ وحـــولَ الفَــم![69]
وبـــيْنَ حفــائِـرِ أســنــانِـــه   مـع السُّوسِ فـى طلـبِ المَطْعَم!

هكـذا كـان " شـوقى " يسـخر مـن " محجـوب ثابـت " وحصـانه الهـزيل ، وقـد ساعد عـلى هـذا المسـخور مـنه ذاتـه ؛ حيـث كـان يـرى نفسـه يسـتحق أعـلى المناصـب وأسمـى الدرجـات، وهـو فـى الحقـيقة لم يكـن كـفءا لهـذا ، وقـد كانـت تصـرفاته مـن هـذا المـنطلق ممـا يـثير السخر والضـحك " لأن المـرء ـ كمـا يقـول العقـاد ـ إنمـا يضـحك مـن كـل شـىء يوضـع فـى غـير موضـعه ويظهـر بغـير المظهـر الواجـب لـه وفـى غير الصورة اللائقـة بـه ، يضـحك مـن الشـيخ المتصـابى ، ومـن الغـبى المتـباهى ، ومـن الـريفى الجلـف الـذى يـتخايل فـى زى أهـل الحضـر ، والوضـيع المهـين الـذى يولـع بسـمت الأعـزاء مـن أصـحاب الشـأن والخطـر ، يضـحك ممـن يصـول صـولة الشـجاع المقتحم حـتى إذا لاحـت لـه بارقـة مـن الوهـم هـرب هروب الجبان المذعور ... " [70]

والعقـاد يشـير إلى أن السـخرية الـتى تـثير الضـحك لا تهـدف فقـط إلى مجـرد الضـحك ، بـل المقصـود مـن وراء ذلـك تنبـيه هـذه الطـبائع إلى الـنفس تنبـيه عطـف ورعايـة " وأن نـنظر مـنها الجـد فـى معالجـتها بما يقع فـى الطاقـة ويـرجى مـنه التحسـن فـى ناحـية أخـرى مـن الـنفس ، وإن لم يكـن ميسـورا فـى الناحـية المضـحوك مـنها فقـلما طلـب الكمـال إنسـان ورجع منه بغير نتيجة مرضية فى الباب الذى طلبه أو فى باب سواه " [71].

وهناك ضرب من الفكاهة والسخرية يوجد عند "شوقى" ، وقد نشأ - فى الأساس - فنا لا يعتمد على كلمات ولا على حروف " وإنما يعتمد على الألوان والخطوط والظلال والأضواء ، وقد شاع فى القرنين الأخيرين بأوروبا ، ونقلناه عنها ، وكان لنا منه حظ فى عصورنا القديمة ، ونقصد التصوير الساخر الكاريكاتورى الذى يقف عند جوانب الضعف فى جسد شخص أو فى وجهه ، ويكبرها كأنما يريد أن ينمى الضعف أو العيب الذى يكمن فيه إلى أقصاه " (٧٢)

وعلى الرغم من أن العرب القدماء لم يعرفوا هذه التسمية فإننا نجدهم يجعلون أدوات هذا الفن الكلمات بدلا من الصورة حتى يكونوا بهذه الكلمات صورة كاريكاتورية ، وكان أبرع كتاب العرب فى ذلك " الجاحظ " (٧٣)

والكاريكاتور يختلف اختلافا كبيرا عن فن الهجاء ؛ ففى كل كاريكاتور نوع من الهجاء وليس فى كل هجاء نوع من الكاريكاتور ، ففى الهجاء ينال من المهجو بالحق وبالباطل دون تعمد الضحك والإضحاك " أما فى الكاريكاتور فإن غرضك الأول هو أن تبحث عن الغلطة المحسوسة فى تكوينه الجسمانى أو تنقب عن السقطة الموجودة فى تكوينه النفسى أو تفتش عن الخلة المقوتة فى طبعه الخلقى " (٧٤)

وعلى هذا فإن هذا الفن الكاريكاتورى الساخر يعتمد - فى الأساس - على التصوير والتجسيم والمقارنة (٧٥) وهذا عينه هو ما صنعه شوقى فى بعض حكاياته ؛ من هذا حكاية "ولى عهد الأسد وخطبة الحمار " (٧٦) و" القرد والفيل " و" دولة السوء " التى لم تنشر فى الشوقيات ، وهو فى هذه الحكاية يجسم لنا قصة صاحب كلب وقرد حمار فجعلها وسيلة للارتزاق ، وإذا بهؤلاء الثلاثة يأتونه فى منامه قائلة :

هـا قـد تجلت ليلة القدر لنا | وقبل مولانا سألنا سؤلنا
فقام يستعد للضراعه | وقال ماذا طلب الجماعه
قال له القرد طلبت المملكه | تكون لى وحدى بغير شركه
قال الحمار وأنا الوزير | والصدر فى الدولة والمشير
والكلب قال قد سالت البارية | يجعلنى فى ملك هذا قاضيا
فراع رب الجوق ما قد سمع | ثم جثا لربه وضرعا
وقال يا صاحب هذه الليله | سألتك الموت ولا ذى الدوله

يشير الشاعر هنا بلمحة ذكية إلى ما يجرى فى مصر آنذاك ، فمحتل يأتى وقت شاء وملك يحكم كيف شاء ، لذا أعطاها " شوقى " هذا البعد الاجتماعى ، فالحيوانات تسبق سيدها إلى اختيار ما تريد ولم تترك له شيئا يختار ، وفى هذا التصوير نقد اجتماعى لاذع وانحياز واضح لمساندة الشعب ضد الفردية الطاغية (٧٧)

ومن هذه الحكايات التى يبرز فيها التصوير الكاريكاتورى "كلاب الأستانة " (٧٨) والشاعر يصور فيها هذا التناقض العجيب الذى يبرز الناس خائفين من الحكام فى حين تطمئن الكلاب الضالة فى الشوارع :

قالوا فروق الملك دار مخاوف | لا ينقضى لنزيلها وسواس
وكلابهم فى مأمن فاعجب لها | أمن الكلاب بها وخاف الناس

ثم يشير إلى كثرة عدد الكلاب الضالة فى شوارع الأستانة :

رأيت كلابا بدار السعادة | عداد الأهالى بها أو زيادة
ولكن بينهما فارقا | ففيهم حماس وفيهم بلاده
مقسمة فرقا فى الطريق | كما يقسم الجيش جندا وقاده
ومنها السمين بحجم الخروف | ومنها الضئيل بحجم الجراده
ويحلو لها النوم فوق الشريط | وتحلو لها فى الطريق الولاده
وقد يفسد الجو من نتنها | وعندهم حفظها كالعباده



- ٧ -

أدوات التشكيل



كـان فـن الكـتابة عـلى لسـان الحـيوان فـنا قديمـا ـ كمـا سـلف ـ سـواء فـى الأدب العـربى أو فـى الآداب العالمـية الأخـرى ، وقـد عـنى الكـتاب الذيـن اطلعـوا لهـذا الفـن وعـالجوا حكايـاتهم عـلى لسـان الحـيوان بكـثير مـن الأسـس الفنـية الـتى اتُّفق علـيها فـى جمـيع آداب العـالم ؛ فقـد عـنوا بالبـناء الفـنى للقصـة ؛ فعـنوا بشـكلها وحجمهـا وفكـرتها وموضـوعها، وكـانوا يخـتارون ذلـك بعـناية فائقـة لأنهـا ـ فـى الأسـاس ـ موجهـة للأطفـال، وعـنوا ـ كذلـك ـ بتقنـية السـرد ورسمـوا شخصـيات هـذه الحكايات جسميا ونفسيا وعقليا وخياليا :

" بحيـث يتسـلل إلى نفـوس الأطفـال ـ عـبر الحـوارات والأحـداث ـ الـتعاطف والاندمـاج ـ أيضـا ـ فـى الإيجـاز والدقـة عـند تصـوير البيـئة الزمانـية والمكانـية وفـى الإمسـاك بخـيوط الحـبكة ونسـج عقـدة واحـدة متنامـية مـع بـاقى العناصـر ، بحيـث تنـتهى فـى ذروتهـا إلى خاتمـة متماسـكة مقـنعة ، كمـا لوحـظ مـن استقراء تلـك الـروائع القصـية : شـيوع عنصـر الترابـط بـين وحـدات البـناء الفـنى القصصـى ، خاصـة منطقـية الحـدث وتوظـيف الخـيال كـى تزخـر القصـة بفـن الحـياة ، أو صـورة الحـياة، وقـد حملـت بمـنظومة " القـيم " الـتى يسـعى الإنسـان بهـدف ترسـيخها ، وعـلى وجـه الخصـوص ترسـيخها فـى عقـل وإدراك ووجـدان الطفل " (٧٩)

يشـارك " شـوقى " أقـرانه مـن الشـعراء والكـتاب فـى كـثير مـن الخصـائص الفنـية الـتى كتـبوا بهـا حكايـاتهم عـلى لسـان الحـيوان ، ولا ينفى هذا تفرده فى بعض السمات الفنية الأخرى.

فأول ما يقابلنا من سمات الصياغة عند " شوقى " لغته السهلة التى لا تمثل نوعا من المشقة على الأطفال ، مع ملاحظة حرصه الشديد على التزام الفصحى بعيدا عن استخدام العامية ، وإن كنا لا نعدم بعض التجوزات اللغوية التى وردت فى هذه الحكايات [٨٠] وقد كان " شوقى " يعلم أن اللغة التى يستعملها من يكتب للأطفال هى اللغة السهلة البسيطة المناسبة لبساطة الأفكار التى يرغب فى أن يوصلها فى أن يوصلها إلى جمهوره من الصغار [٨١] .

" ولعل ذلك كان من بين الأهداف التى أرادها "شوقى" لتثقيف الأطفال عن طريق الخرافة ، وهو تقويم لألسنتهم وتعويدهم على النطق بفصيح الكلمات بدون مشقة أو جهد"[٨٢] .

يضع " شوقى " فارقا كبيرا بهذه اللغة السهلة البسيطة التى استخدمها فى حكاياته بين السمات الفنية التى تسودها وسائر شعره ، وليس من شك فى أن هذا الأسلوب السهل واللغة الميسرة تناسب الأطفال الذين وجه إليهم هذه المجموعة من الحكم والأمثال والعظات ، واللافت للنظر هنا أن هذه الحكايات بلغتها السهلة حملت فلسفة سياسية واجتماعية عميقة ، وهذا كله يأتى على لسان الحيوان ، وقد ساعدت هذه اللغة أن تُدخل هذه الحكايات الراحة والمتعة فى النفس[٨٣] .

وكان " شوقى " حريصا كل الحرص على أن يؤدى شعره وظيفته المنتظرة تجاه الطفل العربى ، ومن الثابت أن الشعر الذى يقرؤه الأطفال يشارك فى تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة :

" فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات فى مختلف المجالات ، وهو يمدهم بالألفاظ والتراكيب التى تنمى ثروتهم اللغوية ،

وتساعدهم على استخدام اللغة استخداما سليما، كما أن الشعر الذى يقدم للأطفال ينمى الجوانب الوجدانية والمشاعر والأحاسيس لديهم ، فهو يغرس القيم التربوية فى نفوسهم ، وينمى الميول الأدبية والقرائية لديهم ، ويشبع حاجاتهم النفسية المتعددة ، وينمى مهارات التذوق الأدبى ، والأداء اللغوى السليم ، وتمثيل المعانى وإخراج الحروف من مخارجها ، والطلاقة اللفظية ، والاستماع الجيد إلى كل ما هو جميل فى مضمونه لغرس التذوق الأدبى لدى الطفل فى هذه المرحلة ، وسبيل إلى تحبيب الأدب إليه فى مراحل التعليم التالية " (٨٤)

ومن أبرز سمات " شوقى " الفنية فى هذه الحكايات وغيرها من سائر شعره هى الموسيقى ؛ فهى تعد من أهم العناصر الفنية التى يمتاز بها " شوقى " لما بها من عذوبة ورقة وتنوع فى البحور والقوافى (٨٥) ومن المعروف أنه كان يلتزم البناء التقليدى لموسيقى الشعر العربى الموروث ، وظاهرة النظام عنصر أساسى فى الأعمال الفنية على اختلاف أنواعها ، ولكل فن من الفنون قواعده الخاصة التى توفر للعمل الفنى هذا العنصر ، مما يوفر الشكلية الضابطة للأوزان والقوافى ، وهذه القواعد هى الملتزمة فى الشعر التقليدى معظمه (٨٦)

ولما كانت الحكايات على لسان الحيوان ضربا من التجديد عند " شوقى " تبع ذلك ضرب من التجديد - أيضا - فى موسيقى الشعر ، أو بعبارة أدق نجم عن ذلك ضرب من التنويع فى موسيقى الشعر عنده.

فنجد فى الحكايات - عند " شوقى " - ما جاء موحد القافية وما جاء مزدوجا ، كما نجده استخدم البحور التامة والمجزوءة ، وقد أكثر من استخدام الرجز والقوافى المزدوجة، وقد ذهب س . موريه إلى

أن " شوقى " كتب سبع عشرة قصيدة بقافية موحدة وبقية الحكايات جاءت فى شكل الأرجوزة المزدوجة [٨٧]

لا يمكن التسليم بهذا الرأى ، والجدول الآتى يوضح مدى التنوع والغزارة فى استخدام البحور والقوافى عند "شوقى " :

م	اسم البحر	وروده تاما	وروده مجزوءا	المجموع
١	الرجز	٣٤	٧	٤١
٢	الرمل	٢	٥	٧
٣	الكامل	٣	٣	٦
٤	المجتث	٦	-	٦
٥	البسيط	٣	-	٣
٦	السريع	٣	-	٣
٧	الطويل	٢	-	٢
٨	الهزج	٢	-	٢
٩	المتقارب	٢	-	٢
١٠	الخفيف	١	-	١
١١	الوافر	١	-	١

كما يلاحظ أن القوافى المزدوجة قد وردت ٤٣ مرة ، والقوافى الموحدة وردت ٣١ مرة .

وعلى كل ما تقدم : تبدو أهمية " حكايات الحيوان فى شعر شوقى " ، وتبرز مكانة هذه الحكايات السامقة بين نتاج "شوقى " الشعرى بصفة خاصة والشعر العربى بعامة ؛ لأنها تمثل جزءا لا يتجزأ

من نتاجه الشعرى فيكمل بها فنه ، كما أنها تبرز تأثره بالتراث العربى وبالوافد الغربى الفرنسى من خلال خرافات " لافونتين " .

وقد برع " شوقى " فى تصوير عدد كبير من الموضوعات التى تتعلق بالإنسان الفرد ، إضافة إلى انشغاله بكل ما يهم الوطن من قضايا ومشكلات ، وخرج من ذلك كله بحكم ومواعظ نتيجة التجربة ، ولف هذا بروح السخرية والتهكم صابًّا إياه فى قالب لغوى سهل وموسيقى متنوعة .



- ٨ -

من ديوان الأطفال لشوقى



الهرة والنظافة

هِـرَّتي جِـدُّ أَلـيفَه   وَهـيَ لِلبَيتِ حَليفَه
هِـيَ مـا لَـم تَـتَحَرَّك   دُمـيَةُ البَيتِ الظَريفَه
فَـإِذا جـاءَت وَراحَـت   زيـدَ في البَيتِ وَصيفَه
شُـغلُها الفـارُ تُـنَقي الـ   ـرَفَّ مِـنهُ وَالسَقيفَه
وَتَقومُ الظُهرَ وَالعَصـ   ـرَ بِـأَورادٍ شَريفَه
وَمِـنَ الأَثوابِ لَـم تَـمـ   ـلِك سِوى فَروٍ قَطيفَه
كُلَّمـا اِستَوسَخَ أَوآ   وى البَراغيثَ المُطيفَه
غَسَـلَتهُ وَكَوَتـهُ   بِأَساليبَ لَطيفَه
وَحَـدَت مـا هُوَ كَالحَمّا   مِ وَالمـاءِ وَظيفَه
صَـيَّرَت ريقَتَها الصا   بونَ وَالشارِبَ ليفَه
لا تَمُـرَّنَّ عَلـى العَيـ   ـنِ وَلا بِالأَنفِ جيفَه
وَتَعَـوَّد أَن تُلاقـي   حَسَنَ الثَوبِ نَظيفَه
إِنَّمـا الـثَوبُ عَلى الإِنـ   ـسانِ عُنوانُ الصَحيفَه

الجدة

لـي جَـدَّةٌ تَـرأَفُ بـي   أَحـنى عَلَـيَّ مِـن أَبـي
وَكُـلُّ شَـيءٍ سَـرَّني   تَذهَبُ فيهِ مَذهَبي
إِن غَضِـبَ الأَهـلُ عَلَـيـ   ـيَ كُلُّهُم لَم تَغضَبِ
مَشـى أَبـي يَومـاً إِلَـيـ   ـيَ مِشيَةَ المُؤَدِّبِ
غَضـبانَ قَـد هَـدَّدَ بِالضَـر   بِ وَإِن لَـم يَضـرِبِ
فَلَـم أَجِـد لِـيَ مِـنهُ غَيـ   ـرَ جَدَّتـي مِـن مَهرَبِ
فَجَعَلَتـني خَلفَهـا   أَنجـو بِهـا وَأَختَبي
وَهـيَ تَقـولُ لِأَبـي   بِلَهجَةِ المُؤَنِّبِ
وَيـحٌ لَـهُ وَيـحٌ لِهَـ   ـذا الوَلَـدِ المُعَذَّبِ
أَلَـم تَكُـن تَصـنَعُ مـا   يَصـنَعُ إِذا أَنـتَ صَبي

الوطن

عُصفورَتانِ في الحِجا … زِ حَلَّتا عَلى فَنَن

في خامِلٍ مِنَ الرِّيا … ضِ لا نَدٍ وَلا حَسَن

بَيناهُما تَنتَجِيا … نِ سَحَراً عَلى الغُصُن

مَرَّ عَلى أَيكِهِما … ريحٌ سَرى مِنَ اليَمَن

حَيّا وَقالَ دُرَّتا … نِ في وِعاءٍ مُمتَهَن

لَقَد رَأَيتُ حَولَ صَن … عاءَ وَفي ظِلِّ عَدَن

خَمائِلاً كَأَنَّها … بَقِيَّةٌ مِن ذي يَزَن

الحَبُّ فيها سُكَّرٌ … وَالماءُ شُهدٌ وَلَبَن

لَم يَرَها الطَّيرُ وَلَم … يَسمَع بِها إِلّا افتَتَن

هَيّا اركَباني نَأتِها … في ساعَةٍ مِنَ الزَّمَن

قالَت لَهُ إِحداهُما … وَالطَّيرُ مِنهُنَّ الفَطِن

يا ريحُ أَنتَ ابنُ السَّبي … لِ ما عَرَفتَ ما السَّكَن

هَب جَنَّةَ الخُلدِ اليَمَن … لا شَيءَ يَعدِلُ الوَطَن

الرفق بالحيوان

الحَيَوانُ خَلقُ … لَهُ عَلَيكَ حَقُّ

سَخَّرَهُ اللَهُ لَكا … وَلِلعِبادِ قَبلَكا

حَمولَةُ الأَثقالِ … وَمُرضِعُ الأَطفالِ

وَمُطعِمُ الجَماعَه … وَخادِمُ الزِّراعَه

مِن حَقِّهِ أَن يُرفَقا … بِهِ وَأَلّا يُرهَقا

إِن كَلَّ دَعهُ يَستَرِح … وَداوِهِ إِذا جُرِح

وَلا يَجُع في دارِكا … أَو يَظمَ في جِوارِكا

بَهيمَةٌ مِسكينُ … يَشكو فَلا يُبينُ

لِسانُهُ مَقطوعُ … وَما لَهُ دُموعُ

ولد الغراب

وَمُمَهّدٌ في الوكرِ مِن وَلَدِ الغُرابِ مُزَقّق
كَرُوَيهِبٍ مُتَقَلّسٍ مُتأَزّرٍ مُتَنطّق
لَبِسَ الرّمادَ عَلى سَوا دِ جَناحِهِ وَالمَفرِق
كَالفَحمِ غادَرَ في الرّما دِ بَقِيّةً لَم تُحرَق
تُلثاهُ مِنقارٌ وَرا سٌ وَالأَظافِرُ ما بَقي
ضَخمُ الدِماغِ عَلى الخُلُو وِ مِنَ الحِجى وَالمَنطِق
مِن أُمّهِ لَقِيَ الصَغي رُ مِنَ البَلِيّةِ ما لَقي
جَلَبَت عَلَيهِ ما تَدو دُ الأُمّهاتُ وَتَتّقي
فُتِنَت بِهِ فَتَوَهّمَت فيهِ قُوىً لَم تُخلَق
قالَت كَبِرتَ فَثِب كَما وَثَبَ الكِبارُ وَحَلّق
وَرَمَت بِهِ في الجَوّ لَم تَحرِص وَلَم تَستَوثِق
فَهَوى فَمُزّقَ في فِنا ءِ الدارِ شَرّ مُمَزّق
وَسَمِعتُ قاقاتٍ تُرَد دَدُ في الفَضاءِ وَتَرتَقي
وَرَأَيتُ غِرباناً تُفَر رِقُ في السَماءِ وَتَلتَقي
وَعَرَفتُ رَنّةَ أُمّهِ في الصارِخاتِ النُعّق
فَأَشَرتُ فَالتَفَتَت فَقُل تُ لَها مَقالَةَ مُشفِق
أَطلَقتِهِ وَلَوِ امتَحَن تِ جَناحَهُ لَم تُطلِقي
وَكَما تَرَفّقَ والِدا كِ عَلَيكِ لَم تَتَرَفّقي

المدرسة

أَنا المَدرَسَةُ اِجعَلني كَأُمٍّ لا تَمِل عَنّي
وَلا تَفزَع كَمَأخوذٍ مِنَ البَيتِ إِلى السِجنِ
كَأَنّي وَجهُ صَيّادٍ وَأَنتَ الطَيرُ في الغُصنِ
وَلا بُدّ لَكَ اليَومَ وَإِلّا فَغَداً مِنّي
أَوِ اِستَغنِ عَنِ العَقلِ إِذَن عَنّيَ تَستَغني

أنـــا المِصـــباحُ لِلفِكـــرِ ... أنـــا المِفـــتاحُ لِلذِهـــنِ
أنـــا الـــبابُ إلى المَجـــدِ ... تَعـالَ اِدخُـل عَـلى الـيُمنِ
غـــداً تَـــرتَعُ في حَوشـــي ... وَلا تَشـــبَعُ مِـــن صَـــحني
وَأَلقـــاكَ بِـــإِخـــوانِ ... يُدانونَـــكَ في السِـــنِّ
تُـــناديهم بِـــيافِكـــري ... وَيـــا شَـــوقي وَيـــا حُسـَـني
وَآبـــاءٍ أَحَـــبّوكَ ... وَمـــا أَنـــتَ لَهُـــم بِـــاِبنِ

في ابنته أمينة

أمِيـــنَتي في عامِهـــا ... الأَوَّلِ مِـــثلُ المَلَـــكِ
صـــالِحَـــةٌ لِلحُـــبِّ مِـــن ... كُـــلٍّ وَلِلتَـــبَرُّكِ
كَـــم خَفَـــقَ القَلـــبُ لَهـــا ... عِـــندَ الـــبُكا وَالضَـــحِكِ
وَكَـــم رَعَـــتها العَـــينُ فـــي ... السُـــكونِ وَالـــتَحَرُّكِ
فَـــإِن مَشَـــت فَخاطِـــري ... يَســـبِقُها كَالمُمسِـــكِ
أَلحَظُهـــا كَأَنَّهـــا ... مِـــن بَصَـــري في شَـــرَكِ
فَـــيا جَـــبينَ السَـــعدِ لـــي ... وَيـــا عُـــيونَ الفَلَـــكِ
وَيـــا بَـــياضَ العَـــيشِ في الـــ ... أَيّـــامِ ذاتِ الحَلَـــكِ
إِنَّ اللَـــيالي وَهـــيَ لا ... تَـــنفَكُّ حَـــربَ أَهلِـــكِ
لَـــو أَنصَـــفَتكِ طِفلَـــةً ... لَكُنـــتِ بِنـــتَ المَلِـــكِ

الأنـانيـة

يـــا حَـــبَّذا أَمِيـــنَةٌ وَكَلـــبُهـــا ... تُحِـــبُّهُ جِـــداً كَمـــا يُحِـــبُّهـــا
أَمِيـــنَتي تَحـــبو إِلى الحَولَـــيـــنِ ... وَكَلـــبُها يُـــناهِزُ الشَـــهرَيـــنِ
لَكِـــنَّها بَيضـــاءُ مِـــثلُ العـــاجِ ... وَعَـــبدُها أَســـوَدُ كَالدَيـــاجـــي
يَلـــزَمُها نَهارَهـــا وَتَلـــزَمُـــه ... وَمِـــثلَما يُكـــرِمُها لا تُكـــرِمُـــهُ
فَعِـــندَها مِـــن شِـــدَّةِ الإِشـــفـــاقِ ... أَن تَـــأخُذَ الصَـــغيرَ بِالخِـــنـــاقِ
في كُـــلِّ ســـاعَةٍ لَـــهُ صِـــيـــاحُ ... وَقَلَّمـــا يَـــنعَمُ أَو يَـــرتـــاحُ
وَهَـــذِهِ حادِثَـــةٌ لَهـــا مَعَـــه ... تُنبيكَ كَـيفَ اِستَأثَرَت بِالمَـنفَعَه

جاءَت بِهِ إِليَّ ذاتَ مَرَّه … تَحمِلُهُ وَهيَ بِهِ كالبَرَّه
فَقُلتُ أهلاً بالعَروسِ وَابنِها … ماذا يَكونُ يا تُرى مِن شأنِها
قالَت غُلامي يا أَبي جَوعانُ … وَما لَهُ كَما لَنا لِسانُ
فَمُرهُموا يَأتوا بِخُبزٍ وَلَبَن … وَيُحضِروا آنِيَةً ذاتَ ثَمَن
فَقُمتُ كالعادَةِ بالمَطلوبِ … وَجِئتُها أَنظُرُ مِن قَريبِ
فَعَجَنَت في اللَبَنِ اللُبابا … كَما تَرانا نُطعِمُ الكِلابا
ثُمَّ أرادَت أن تَذوقَ قَبلَهُ … فاستَطعَمَت بِنتُ الكِرامِ أكلَهُ
هُناكَ ألقَت بالصَغيرِ لِلوَرا … وَاندَفَعَت تَبكي بُكاءَ مُفتَرى
تَقولُ بابا أنا دَحّا وَهوَ كُخّ … مَعناهُ بابا لِيَ وَحدي ما طُبِخ
فَقُل لِمَن يَجهَلُ خَطبَ الآنِيَه … قَد فُطِرَ الطِفلُ عَلى الأنانِيَه

لعبـــة

صِغارُ يحلُوانَ تَستَبشِرُ … وَرُؤيَتُها الفَرَحُ الأكبَرُ
تَهُزُّ اللِواءَ بِعيدِ المَسيحِ … وَتُحَيّيهِ مِن حَيثُ لا تَشعُرُ
فَهَذا بِلُعبَتِهِ يَزدَهي … وَهَذا بِحُلَّتِهِ يَفخَرُ
وَهَذا كَغُصنِ الرُبا يَنثَني … وَهَذا كَريحِ الصَبا يَخطِرُ
إذا اجتَمَعَ الكُلُّ في بُقعَةٍ … حَسِبتَهُمو باقَةً تُزهِرُ
أوِ افتَرَقوا واحِداً واحِداً … حَسِبتَهُمو لُؤلُؤاً يُنثَرُ
وَمِن عَجَبٍ مِنهُمو المُسلِمونَ … أوِ المُسلِمونَ هُمُ الأكثَرُ
فَلاسِفَةٌ كُلُّهُم في اتِّفاقٍ … كَما اتَّفَقَ الآلُ وَالمَعشَرُ
دَسَمبرُ شَعبانُ عِندَ الجَميعِ … وَشَعبانُ لِلكُلِّ ديسَمبِرُ
وَلا لُغَةٌ غَيرَ صَوتٍ شَجِيٍّ … كَرَوضٍ بَلابِلُهُ تَصفِرُ
وَلا يَزدَري بالفَقيرِ الغَنِيُّ … وَلا يُنكِرُ الأبيَضَ الأسمَرُ
فَيا لَيتَ شِعري أضَلَّ الصِغارُ … أم العَقلُ ما عَنهُمو يُؤثَرُ
سُؤالٌ أُقدِّمُهُ لِلكِبارِ … لَعَلَّ الكِبارَ بِهِ أخبَرُ
وَلي طِفلَةٌ جازَتِ السَنَتَينِ … كَبَعضِ المَلائِكِ أو أطهَرُ
بِعَينَينِ في مِثلِ لَونِ السَماءِ … وَسِنَّينِ يا حَبَّذا الجَوهَرُ

أتتــنيَ تَســـألُني لُعبَــةً لِتَكسِــرَها ضِــمنَ مــا تَكسِــرُ
فَقُلــتُ لَهــا أيُّهَــذا المَــلاكُ تُحِــبُّ السَّــلامَ وَلا أُنكِــرُ
وَلَكِــنَّ قَــبلَكَ خــابَ المَسـيـحُ وَبـــاءَ بِمَنشــورِهِ القَيصَــرُ
فَــلا تَــرجُ سِــلماً مِــنَ العالَمــينَ فَــإِنَّ السِــباعَ كَمــا تُفطَــرُ
وَمَــن يَعــدَمِ الظُفــرَ بَــينَ الذِئــابِ فَــإِنَّ الذِئــابَ بِــهِ تَظفَــرُ
فَــإِن شِــئتَ تَحــيا حَــياةَ الكِــبارِ يُؤَمِّلُــكَ الكُــلُّ أَو يَحــذَرُ
فَخُــذ هــاكَ بُــندُقَــةً نارُهــا سَــلامٌ عَلَــيكَ إِذا تُســعَرُ
لَعَلَّــكَ تَألَفُهــا فــي الصِــبا وَتَخلفُهــا كُلَّمــا تَكــبَرُ
فَفــيها الحَــياةُ لِمَــن حازَهــا وَفــيها السَّــعادَةُ وَالمَفخَــرُ
وَفــيها السَّــلامُ الوَطــيدُ البِنــاءِ لِمَــن آثَــرَ السِــلمَ أَو يُؤثِــرُ
فَلوبَــيلُ مُمسِــكَــةٌ مَــوزَراً وَلوبَــيلُ تُمسِــكُها مَــوزَرُ
أَجابَــت وَمــا الــنُطقُ في وُسـعِها وَلَكِــنَّها العَــينُ قَــد تُخبِــرُ
تَقــولُ عَجيــبٌ كَلامُــكَ لــي أَبِالشَــرِّ يــا والِــدي تَأمُــرُ
تُــزيِّنُ لِبنــتِكَ حُــبَّ الحُــروبِ وَحُــبُّ السَّــلامِ بِهــا أَجــدَرُ
وَأَنــتَ امــرُؤٌ لا تُحِــبُّ الأَذى وَلا تَبتَغــيهِ وَلا تَأمُــرُ
فَقُلــتُ لِأَمــرٍ ضَــلَلتُ السَّــبيلَ وَرُبَّ أَخــي ضَــلَّةٍ يُعــذَرُ
فَلَــو جــيءَ بِالرُسُــلِ في واحِــدٍ وَبِالكُتــبِ في صَــفحَةٍ تُنشَــرُ
وَبِــالأَوَّلينَ وَمــا قَدَّمــوا وَبِالآخَــرينَ وَمــا أَخَّــروا
لِيَــنهَضَ مــا بَيــنَهُم خاطِــباً عَــلى العَــرشِ نُــصَّ لَــهُ مِنــبَرُ
يَقــولُ السَّــلامُ يُحِــبُّ السَّــلامَ وَيَأجُــرُكُم عَــنهُ مــا يَأجُــرُ
لَصُــمَّ العِــبادُ فَلَــم يَســمَعوا وَكُــفَّ العِــبادُ فَلَــم يُبصِــروا

زين المهود

يــا شِــبهَ سَــيِّدَةِ البَتــو لِ وَصــورَةَ المَلَــكِ الطَهــور
نَسّــى جَمــالُكِ فــي الإِنــا ثِ جَمــالَ يوسُــفَ في الذُكــور
زَيــنُ المُهــودِ الــيَومَ أَن تِ وَفي غَــدٍ زَيــنُ الخُــدور
إِنَّ الأَهِلَّــــةَ إِن سَــرَت ســارَت عَــلى نَهــجِ الــبُدور

بِأبي جَبينُ كَالصَبا — حِ إذا تَهَيَّأَ لِلسُفور
بَقِيَت عَلَيهِ مِنَ الدُجى — تِلكَ الخُيوطُ مِنَ الشُعور
وَكَرائِمٌ مِن لُؤلُؤٍ — زَيَّنَّ مُرجانَ النُحور
سُبحانَ مُؤتيها يَتا — ئِمَ في المَراشِفِ وَالثُغور
تَسقي وَتُسقى مِن لُعا — بِ النَحلِ أَو طَلِّ الزُهور
وَكَأَنَّ نَفحَ الطيبِ حَو — لَ نَضيدِها أنفاسُ حور
وَغَريبَةٌ فَوقَ الخُدو — دِ بَديعَةٌ مِن وَردِ جور
صَفراءُ عِندَ رَواحِها — حَمراءُ في وَقتِ البُكور
قَبَّلتُها وَشَمَمتُها — وَسَقَيتُها دَمعَ السُرور

الثعلب والديك

بَرَزَ الثعلَبُ يَوماً — في شِعارِ الواعِظينا
فَمَشى في الأرضِ يَهدي — وَيَسُبُّ الماكِرينا
وَيَقولُ الحَمدُ لِلـ — ـهِ إِلَهِ العالَمينا
يا عِبادَ اللَهِ توبوا — فَهوَ كَهفُ التائِبينا
وَازهَدوا في الطَيرِ إِنَّ الـ — ـعَيشَ عَيشُ الزاهِدينا
وَاطلُبوا الديكَ يُؤَذِّن — لِصَلاةِ الصُبحِ فينا
فَأَتى الديكَ رَسولٌ — مِن إِمامِ الناسِكينا
عَرَضَ الأَمرَ عَلَيهِ — وَهوَ يَرجو أَن يَلينا
فَأَجابَ الديكُ عُذراً — يا أَضَلَّ المُهتَدينا
بَلِّغِ الثَعلَبَ عَنّي — عَن جُدودي الصالِحينا
عَن ذَوي التيجانِ مِمَّن — دَخَلَ البَطنَ اللَعينا
أَنَّهُم قالوا وَخَيرُ الـ — ـقَولِ قَولُ العارِفينا
مُخطِئٌ مَن ظَنَّ يَوماً — أَنَّ لِلثَعلَبِ دينا

ضيافة قطة

لَستُ بِناسٍ لَيلَةً   مِن رَمَضانَ مَرَّتِ
تَطاوَلَت مِثلَ لَيا   لي القُطبِ وَاِكفَهَرَّتِ
إِذِ اِنفَلَتُّ مِن سُحو   ري فَدَخَلتُ حُجرَتي
أَنظُرُ في ديوانِ شِعـ   ـرٍ أَو كِتابِ سيرَةِ
فَلَم يَرُعني غَيرَ صَو   تٍ كَمُواءِ الهِرَّةِ
فَقُمتُ أُلقي السَمعَ في   السُتورِ وَالأَسِرَّةِ
حَتّى ظَفِرتُ بِالَّتي   عَلَيَّ قَد تَجَرَّتِ
فَمُذ بَدَت لي وَاِلتَقَت   نَظرَتُها وَنَظرَتي
عادَ رَمادُ لَحظِها   مِثلَ بَصيصِ الجَمرَةِ
وَرَدَّدَت فَحيحَها   كَحَنَشٍ بِقَفرَةِ
وَلَبِسَت لي مِن وَرا   ءِ السِترِ جِلدَ النَمِرَةِ
كَرَّت وَلَكِن كَالجَبا   نِ قاعِداً وَفَرَّتِ
وَاِنتَفَضَت شَوارِباً   عَن مِثلِ بَيتِ الإِبرَةِ
وَرَفَعَت كَفّاً وَشا   لَت ذَنَباً كَالمِدرَةِ
ثُمَّ اِرتَقَت عَنِ المُوا   ءِ فَعَوَت وَهَرَّتِ
لَم أَجزِها بِشِرَّةٍ   عَن غَضَبٍ وَشِرَّةِ
وَلا غَبيتُ ضَعفَها   وَلا نَسيتُ قُدرَتي
وَلا رَأَيتُ غَيرَ أُمٍّ   بِالبَنينَ بَرَّةِ
رَأَيتُ ما يَعطِفُ نَفـ   ـسَ شاعِرٍ مِن صورَةِ
رَأَيتُ جِدَّ الأُمَّها   تِ في بِناءِ الأُسرَةِ
فَلَم أَزَل حَتّى اِطمَأَنَّ   جَأشُها وَقَرَّتِ
أَتَيتُها بِشَربَةٍ   وَجِئتُها بِكِسرَةِ
وَصُنتُها مِن جانِبي   مَرقَدِها بِسُترَتي
وَزِدتُها الدِفءَ فَقَر   رَبتُ لَها مِجمَرَتي
وَلَو وَجَدتُ مِصيَداً   لَجِئتُها بِفارَةِ
فَاِضطَجَعَت تَحتَ ظِلا   لِ الأَمنِ وَاِستَبَطَرَّتِ

وَقَرَأت أورادَها ... وَما دَرَت ما قَرَّتِ

وَسَرَحَ الصِغارُ في ... ثُديِّها فَدَرَّتِ

غُرٌ نُجومٍ سُبَّحٌ ... في جَنَباتِ السُرَّةِ

اِختَلَطوا وَعَيَّثوا ... كَالعُمي حَولَ سُفرَةِ

تَحسَبُهُم ضَفادِعاً ... أرسَلتَها في جَرَّةِ

وَقُلتُ لا بَأسَ عَى ... طِفلِكِ يا جُوَيرَتي

تَمَخَّضي عَن خَمسَةٍ ... إن شِئتِ أو عَن عَشرَةِ

أنتِ وَأولادُكِ حَتـ ... ـتى يَكبُروا في خُفرَتي

نديم الباذنجان

كانَ لِسُلطانٍ نَديمٌ وافِ ... يُعيدُ ما قالَ بِلا اِختِلافِ

وَقَد يَزيدُ في الثَنا عَلَيهِ ... إذا رَأى شَيئاً حَلا لَدَيهِ

وكانَ مَولاهُ يَرى وَيَعلَمُ ... وَيَسمَعُ التَمليقَ لَكِن يَكتُمُ

فَجَلسا يَوماً عَلى الخِوانِ ... وَجيءَ في الأكلِ بِباذِنجانِ

فَأكَلَ السُلطانُ مِنهُ ما أكَل ... وَقالَ هَذا في المَذاقِ كَالعَسَل

قالَ النَديمُ صَدقَ السُلطانُ ... لا يَستَوي شَهدٌ وَباذِنجانُ

هَذا الَّذي غَنى بِهِ الرَئيسُ ... وَقالَ فيهِ الشِعرَ جالينوسُ

يُذهِبُ ألفَ عِلَّةٍ وَعِلَّه ... وَيُبرِدُ الصَدرَ وَيَشفي الغُلَّه

قالَ وَلَكِن عِندَهُ مَرارَه ... وَما حَمَدتُ مَرَّةً آثارَه

قالَ نَعَم مُرٌّ وَهَذا عَيبُه ... مُذ كُنتُ يا مَولايَ لا أُحِبُّه

هَذا الَّذي ماتَ بِهِ بُقراطُ ... وَسُمٌّ في الكَأسِ بِهِ سُقراطُ

فَاِلتَفَتَ السُلطانُ فيمَن حَولَهُ ... وَقالَ كَيفَ تَجِدونَ قَولَه

قالَ النَديمُ يا مَليكَ الناسِ ... عُذراً فَما في فِعلَتي مِن باسِ

جُعِلتُ كَي أُنادِمَ السُلطانا ... وَلَم أُنادِم قَطُّ باذِنجانا

أنت وأنا

يَحكــونَ أنَّ رَجُــلاً كُــردِيّــــا
كـانَ عَظـيمَ الجِسـمِ هَمشَـرِيّا

وكــانَ يُلقــي الرُعــبَ في القُلــوبِ
بِكَــثرَةِ السِــلاحِ في الجُـيوبِ

وَيُفــزِعُ الــيَهودَ وَالنَصــارى
وَيُرعِــبُ الكِــبارَ وَالصِــغارا

وكُلَّمــا مَــرَّ هُــناكَ وَهُــنــا
يَصيحُ بِالـناسِ أَنـا أَنـا أَنـا

نَمــى حَديــثُهُ إِلى صَــبِــيٍّ
صَـغيرِ جِسـمٍ بَطَـلٍ قَـوِيّ

لا يَعــرِفُ الــناسُ لَــهُ الفُــتُــوَّه
وَلَـيسَ مِمَّـن يَدَّعـونَ القُـوَّه

فَقــالَ لِلقَــومِ سَــأُدريكُم بِــــهِ
فَـتَعلَمونَ صِـدقَهُ مِـن كِذبِـه

وَسـارَ نَحـوَ الهَمشَـرِيِّ في عَجَـل
وَالـناسُ مِمّـا سَـيَكونُ في وَجَـل

وَمَــدَّ نَحــوَهُ يَمينــاً قاسِــيَــه
بِضَـربَةٍ كـادَت تَكـونُ القاضِـيَه

فَلَــم يُحَــرِّك ساكِناً وَلا اِرتَــبَــك
وَلا اِنـتَهى عَـن زَعمِـهِ وَلا تَـرَك

بَــل قــالَ لِلغالِــبِ قَــولاً لَيِّنــا
الآنَ صِـرنا اِثـنَينِ أَنـتَ وَأَنـا

الهوامش

١- راجع : ترجمة عن حياة أحمد شوقي وآثاره : سيد صديق عبد الفتاح، نثريات أحمد شوقي ، خواطره ، حكمه ، محاوراته ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م ، ص١٥ وما بعدها ، وشوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر،دار المعارف، ط١٠، ١٩٩٢م، ص١١٠وما بعدها.

٢- محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٣، ١٩٧٧م ، ص١٣٥.

٣- السابق ، ص١٨٥، ١٨٦ .

٤- السابق ، ص ١٧٧، ١٧٨ .

٥- راجع : على عشرى زايد ، دراسات نقدية فى شعرنا الحديث ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ط٢، ١٤٢٣هـ ،٢٠٠٢م ، ص١٢٧، ١٢٨.

٦- راجع : على الحديدى ، فى أدب الأطفال ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٦، ١٩٩٠م ، ص٢١٢ ، حنان عبد الحميد العنانى ، أدب الأطفال ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٦م ، ص١٤.

٧- عبد الله بن المقفع ، كليلة ودمنة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٤م، ص٣٠، ٣١.

٨- عبد الرحمن صدقي، المجلة، العدد الرابع والعشرون، ديسمبر ١٩٥٨م، أحمد شوقي أطوار شبابه في شعره ، ص٨٢، ٨٣ . وقد اتفق دكتور على الحديدى مع هذا الرأى وعد أحمد شوقي رائد أدب الأطفال فى العصر الحديث وعلق على ذلك بقوله :

" قبل أن يكتب " شوقي " حكاياته ترجم محمد عثمان جلال كثيرا من حكايات لافونتين فى كتابه " العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ " فى شعر عربى مزدوج القافية ، وكانت ترجمته حرة لم يتقيد فيها بالأصل، وحاول تمصير الحكايات العامية فى صورة زجل ، وبعده ألف " إبراهيم

العرب " نظما كتاب خرافات على لسان الحيوان سماه (آداب العرب) وسار فيه على طريقة لافونتين ، لكن هذين الأديبين لم يكتبا حكاياتهما للأطفال بل كتباها للكبار ؛ ومن ثم تخرج عن مجال أدب الأطفال الذى يكتب ابتداء لهم " ، فى أدب الأطفال ، ص٣٤٧ وما بعدها .

٩- حقق الشعر عامر محمد بحيرى ، العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

١٠- راجع : أحمد سويلم ، أطفالنا فى عيون الشعراء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م ، ص١٥٧، ١٦٣، ١٦٤.

١١- راجع : شوقى ضيف ، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧م ، ص١٩٤. عبد الرازق حميدة ، قصص الحيوان فى الأدب العربى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ م، ص٢٠٣. نفوسة زكريا سعيد ، خرافات لافونتين فى الأدب العربى، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، د. ت. ، ص٢٥٠.

La Fontaine. Fables, Edition annotee pr L. Clemant. Paris 1936.

١٢- راجع : شوقى ضيف ، شوقى شاعر العصر الحديث ، دار المعارف ، ط٧، ١٩٧٧م ، ص٨٧،٨٨.

١٣- راجع : السابق ، ص٩٧.

١٤- راجع : السابق ، ص٩٥ وما بعدها ، أنس داوود ، رواد التجديد فى الشعر العربى الحديث ، مكتبة عين شمس ، ١٩٧٥م ، ص٢٨،٢٩.

١٥- راجع: عبد الرازق حميدة ، قصص الحيوان فى الأدب العربى، ص٢٥ وما بعدها. نفوسة زكريا سعيد ، خرافات لافونتين فى الأدب العربى ، ص٣،٥.

١٦ - أحمد سويلم ، أطفالنا فى عيون الشعراء ، ص١٥٨ وما بعدها، راجع: أحمد زلط ، أدب الطفل العربى دراسة معاصرة فى التأصيل والتحليل ،

دار الوفـاء لدنـيا الطـباعة والنشـر والـتوزيع ، الإسـكندرية، ط٢ ، ١٩٩٨م، ص٨٨ .

١٧- حـلمى عـلى مـرزوق ، شـوقى وقضـايا العصـر والحضـارة ، دار المعـارف، مصر ، ١٩٧٦م ، ص١٠٨.

١٨- راجـع : عزيـز السـيد جاسـم ، دراسـات نقديـة فـى الأدب الحديـث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م ، ص١٩.

١٩- راجـع : حديـث عـلى أحمـد شـوقى ، أحمـد شـوقى حـياته وشـعره ، المكتـبة الحديـثة للطـباعة والنشـر ، بـيروت ، ط١، ١٩٨٧م ، ص ١٥،١٦.

٢٠- الشوقيات ، جـ٤، ص٩٣.

٢١- السابق : جـ ٤، ص١٢٠.

٢٢- الشـوقيات المجهولـة ، جــ٢ ، ص٢٣٣، وقـد نشـرت بالمعـرفة عـدد يونـيه ١٩٣٢م، وقـد علـق محمـد صـبرى السـربونى عـلى عـنوان القصـيدة قـائلا: " لا أدرى لمـاذا لم يقـل شـوقى حـارس المـنار والدلفـين بـدلا مـن دلفـين .. وقد ذكر البحترى الدلفين فى قصيدة البركة قال يصف السمك :

صـور إلى صـورة الدلفـين يؤنسـها ... مـنـه انـزواء بعينـيه يوازيهـا

وجـاء فـى " معجـم الحـيوان " لأمـين معلـوف : الـتخس والدخـس (بضـم الـتاء أو الـدال وفـتح الخـاء) ، Dolphin (بالإنجلـيزيـة) دلفـين (يونانـية معـربة) جـنس مـن الحيـتان الصـغيرة طولـه نحـو عشـرة أقـدام . زعم القدماء أنه ينجي الغريق ، كنيته فى البحر الأحمر (أبو سلام) .

وجـاء فـى " اللسـان " (مـادة دلفـين) إن الدلفـين دابـة بحـرية قـيل إنهـا تـنجى الغـريق (معـرب) ومـرادفه فـى العربـية الدخـس كصـرد . وجـاء فـى مـادة (الدخـس) أنهـا دابـة تـنجى الغـريق تمكـنه مـن ظهـرها ليسـتعين عـلى السـباحة وتسـمى (الدلفـين) . وجـاء فـى قـاموس (لاروس) الفرنسـى الكـبير أن الدلفـين مـن فصـيلة آكلـة الـلحوم وأنـه فـى

العصور الوثنية القديمة كان يعتبر صديقا للإنسان . وكانوا يزعمون أنه أنقذ الكثير من الغرق .. وكان الفنانون القدماء يصورون النفوس الطيبة مستعلية على الدلفين ماخرة فى العباب إلى جزر السعادة والهناء " .

٢٣- الشوقيات : جـ ٤، ص١١٢ وما بعدها .

٢٤- السابق ، جـ ٤، ص١٠٨.

٢٥- السابق ، جـ٤ ، ص١٢٥.

٢٦- السابق ، جـ ٤، ص١١٦.

٢٧- السابق ، جـ٤ ، ص٧٧.

٢٨- السابق ، جـ ٤ ، ص١٢٠ .

٢٩- السابق ، جـ٤، ص١٢١، وراجع : حكاية الخفاش ومليكة الفراش ، جـ٤، ص١٠٣.

٣٠ - السابق ، جـ ٤ ، ص١٠٩ .

٣١ - السابق ، جـ٤، ص١٢٢.

٣٢- السابق ، جـ٤، ص٨٩.

٣٣- راجع: حسين شوقى ، أبى شوقى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٤٧م ، ص١٥٥،١٥٦.

٣٤- الشوقيات ، جـ٤، ص١٢٣.

٣٥- السابق ، جـ٤ ، ص١١٠.

٣٦- السابق، جـ٤ ، ص١١١.

٣٧- السابق ، جـ٤، ص١٢٤.

٣٨- السابق ، جـ٤ ، ص١٢٤، وراجع : الثعلب الذى انخدع ،جـ٤، ص ١٢٣.

٣٩- السابق ، حكاية الثعلب والأرنب والديك ، جـ٤ ، ص١٢٦.

٤٠- السابق ، جـ٤ ، ص١٣١.

٤١- السابق ، جـ٤ ، ص١٢١ .

٤٢- السابق ، جـ٤ ، ص١٠٢.

٤٣- السابق ، جـ٤ ، ص٩٢.

٤٤- محمد غنيمى هلال ، الأدب المقارن ، ص١٩١. وراجع : أنس داوود، رواد التجديد فى الشعر العربى الحديث ، ص٩١ وما بعدها .

٤٥- الشوقيات المجهولة جـ ٢، ص١١٩، الشوقيات ، جـ١ ، ص١٣٨، وراجع : طه وادى ، شعر شوقى الغنائى والمسرحى ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص٣٣٨. وقد سماها (بلبل فى الأسر) .

٤٦- الشوقيات المجهولة ، جـ٢ ، ص٦١.

٤٧- السابق ، جـ٢ ، ص٨٠،٨١ .

٤٨- الشوقيات ، جـ٤ ، ص٩٧.

٤٩- السابق ، جـ٤ ، ص١٠٥.

٥٠- اعتمد البحث على ديوان شوقى (الشوقيات) دار الكتب العلمية ، بيروت ، و(الشوقيات المجهولة) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣م.

٥١- أنس داوود ، رواد التجديد فى الشعر العربى الحديث ، ص٩٣.

٥٢- الشوقيات : جـ٤ ، ص٩١. وراجع : أمة الأرانب والفيل ، جـ٤، ص ١٠٢ ، البلابل التى رباها البوم جـ٤ ، ص٩٢ ، الأفعى النيلية والعقربة الهندية ، جـ٤ ، ص٩٤، فأر البيت وفأر الغيط جـ٤ ، ص٩٥، النملة الزاهدة ، جـ٤ ،ص١١٨.

٥٣- نفوسة زكريا ، خرافات لافونتين فى الأدب العربى ، ص٨٥.

٥٤- الشوقيات ، جـ٤، ص١٠٨.

٥٥- السابق ، جـ٤ ، ص١١٨.

٥٦- الشوقيات ، جـ ٤، ص١١٩ .

٥٧- السابق : جـ ٤، ص١٢٠.

٥٨- السابق : جـ ٤ ، ص١٠٦ .

٥٩ـ السابق : جـ ٤ ، ص١٠٣ .

٦٠ـ أحمد شوقي حياته وشعره ، ص٢٣.

٦١ـ السابق ، ص٢٥ وكلمة (مقصورة) التي وردت في النص هي في الأصل (قاصرة) تم إبدالها لما فيها من خطأ .

٦٢ـ أحمد سويلم العمرى ، أدب شوقى فى السياسة والاجتماع ، دراسات مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص٦٦،٦٧.

٦٣ـ راجع : نشأت العنانى ، فن السخرية فى أدب الجاحظ ، مطبعة السعادة ، ط١ ،١٩٨٠م ، ص٢١، إبراهيم عبد القادر المازنى ، حصاد الهشيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص٣٠٩ وما بعدها.

٦٤ـ فخرى أبو السعود ، فى الأدب المقارن ومقالات أخرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م ، ص٦١.

٦٥ـ الشوقيات ، جـ٤ ، ص٩٨، وراجع ، الحمار فى السفينة ،جـ٤ ، ص١١٧.

٦٦ـ طه وادى ، شعر شوقى الغنائى والمسرحى . ص٣١.

٦٧ـ العقاد ، روح الفكاهة عند شوقى ، مقال ، مجلة الهلال ، أول نوفمبر، ١٩٦٨م ، ص٥٢. وراجع : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٣م ، ص١٥٥ وما بعدها.

٦٨ـ الشوقيات ، ص١٤٨ وما بعدها ، والشوقيات المجهولة ، ص١٩١، ١٩٢ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧، مصطفى الرفاعى ، فى رحاب شوقى ، مطبعة الانتصار، الإسكندرية ، ١٩٩٦م ، ص١٩٨، من القصائد الفكاهية الأخرى أربعون قصيدة ومقطوعة فى " عام الكف " : الشوقيات المجهولة ، جـ١ ، ٢٨٣ :٢٩٣ ، جـ٢ ، ص٣٠.

٦٩ـ ابن سينا ، والرئيس : كناية عن الدكتور محجوب نفسه .

٧٠ـ العقاد ، مطالعات في الكتب والحياة، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م ، ص٨٩.

٧١ ـ العقاد ، ساعات بين الكتب ، ص٣٦٨.

٧٢ـ شوقي ضيف ، الفكاهة في مصر ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، ع١، ١٩٤٣م ، ص١٢، ١٣.

٧٣ ـ راجع : نشأت العناني ، فن السخرية في أدب الجاحظ ، ص١٧٠: ٢٤٥.

٧٤ـ توفيق الحكيم ، فن الأدب ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٧م، ص٣١، ٣٢ ، وراجع : هنرى برجسون ، الضحك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص٢٨، ٢٩ ، محمد عناني ، فن الكوميديا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، ص٢٨، ٢٩.

٧٥ـ راجع : محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٨١م ، ص٤٦١.

٧٦ـ الشوقيات ، جـ٤ ، ص٩٨ ، ١٠٠. الشوقيات المجهولة ، جـ١، ص ٢٢١ ، وقد نشرها بالمجلة المصرية ٣١ يوليه ١٩٠٠م .

٧٧ـ راجع : أنس داوود ، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص ٨٧، ٨٨.

٧٨ـ الشوقيات المجهولة ، جـ١، ص٢٤١. وقد نشرها بالمجلة المصرية ١٥ مارس ١٩٠١م .

٧٩ـ أحمد زلط ، أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، ص١٨٨.

٨٠ـ من هذه الأخطاء " صرصار بدلا من صرصور ، وحماس بدلا من حماسة، واستخدامه كلمات مثل دحا وكخ " .

٨١ـ راجع . على الحديدى ، في أدب الأطفال ، ١٥٣ وما بعدها .

٨٢ـ نفوسة زكريا سعيد ، خرافات لافونتين في الأدب العربي، ص٨٩.

٨٣ـ راجع : أحمد سويلم العمرى ، أدب شوقى فى السياسة والاجتماع، دراسات مقارنة ، ص٩٢.

٨٤ـ حسن شحاته ، أدب الطفل العربى ، دراسات وبحوث ، ص٢٢.

٨٥ـ راجع : شوقى ضيف ، شوقى شاعر العصر الحديث ، ص٤٤:٤٦.

٨٦ـ راجع: عز الدين إسماعيل ، الشعر العربى المعاصر ، ط٢، دار العودة، بيروت ، ص٨٠ ، عز الدين منصور ، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص١٨.

٨٧ـ س . موريه ، الشعر العربى الحديث ، ١٨٠٠ :١٩٧٠، تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربى ، ترجمه وعلق عليه : شفيع السيد وسعد مصلوح ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص٨٦.

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة

تم بحمـد الله

مـع تحـيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية